ليلة أخيرة

obeikan.com

ليلة أخيرة
رواية
أحمد عادل
الطبعة الأولى : ٢٠١٥

دار الحلم للنشر والتوزيع
٤ شارع الأشراف - من شارع مؤسسة الزكاة - المرج - القاهرة
موبايل : ٠١١٤١٨٢٤٥٦٢
dar_el7elm@hotmail.com
المدير العام : د.إسلام فتحى

تصميم الغلاف : محمد عبد السلام
إخراج داخلي : الحلم للدعاية والإعلان

رقم الإيداع :٢٠١٦/٢١٥٦
رقم الترقيم الدولي : 978-977-798-039-0

إن دار الحلم للنشر والتوزيع، غير مسؤولة عن آراء المؤلف وأفكاره، وتعبر الآراء الواردة في هذا الكتاب عن آراء المؤلف، ولا تعبر بالضرورة عن آراء الدار .

obeikan.com

ليلة أخيرة

obeikan.com

obeikan.com

- ١ -

لم يكن نزوله الى الشارع في هذا الوقت محض صدفه بل كان ترتيب قدري مدبر له وهو لا يعلم عنه شيء ..

فهو في كل الأحوال لم يكن يؤمن بالمصادفات كثيرا، أعتاد أن يحاول تفسير كل شيء وأي شيء مهما كان صغيرا ..

كانت الساعة تقترب من الواحدة صباحاً.. الطرقات تكاد تكون خالية في ذلك الوقت خاصة فالشتاء يكون البرد قد أشتد فيختفي الجميع وتغلق المحال التجارية أبوابها هربا من ذلك الجو الذي يفتك بالجميع كحيوان ضاري يبحث عن فريسة

كان يجلس في المنزل وحده في صمت تام وفى ظلام غرفته كراهب بوذي أتخذ عهد الصمت.. يجول بعينيه في الظلام بحثا عن شيء ما لا يعرفه..

رن هاتفه المحمول بموسيقى الترانس التي يعشقها محدثا جلبة في ذلك الصمت

لم يكن المتصل سوي صديقه وجاره عصام أجاب على الاتصال رغما عنه لأنه يعلم أن عصام لن يكف عن الاتصال لو لم يرد

- آلو

- إيه يا مان فينك بكلمك من ساعتين ومبتردش

obeikan.com

- كنت بره يا عصام ولسه راجع
- من غيري برضه والله ما ينفع
- حوار كده هبقى أحكيلك عليه بعدين
- طيب ماشى المهم ما تيجي ننزل نشرب سحارتين علشان عايز أخد رأيك ف حوار كده
- طيب تمام خمسايه كده وقابلني عند الكشك
- خلاص ماشى.. سلام
- سلام

***

أغلق نوح الهاتف.. تناول محفظته وقداحته الZippo التي يحبها كثيرا تلك القداحة الصغيرة التي تحمل رسم لورقة آس والتي أبتاعتها له خصيصا يارا لعلمها بشغفه الشديد بالعاب الكوتشينة.. كانت تلك الهدية بمناسبة ذكرى مرور سنة على علاقتهم.. نظر للقداحة نظرة أعادت له بعض ذكريات الماضي التي يحاول الهروب منها قبل أن يضعها في جيبه

تحرك نوح من مكانه استعدادا للنزول ومحاولا الهروب من تلك الذكريات اللعينة..

لم تمر دقيقتان حتى رن هاتفه مجددا توقع نوح ان يكون المتصل عصام لابد أن يكون هو ذلك الزنان يستعجله للنزول امسك هاتفه للرد عليه لكن المتصل لم يكن عصام بل كان رقماً آخر غير مسجل في قائمة الأسماء في هاتفه فرد قبل أن ينقطع الاتصال

- الو
- أيوه مين
- انت سبت نور الصالون مفتوح ليه؟

obeikan.com

- نعم؟!.. مين معايا
- انت سبت نور الصالون مفتوح ليه؟
- نور صالون إيه؟ أنت مين
- عايز تعرف أنا مين
- (بنفاذ صبر) ياريت
- أنا الي هبوظلك حياتك وهدفعك تمن اللي بتعمله

كان يهم بالرد بأن يقول للمتصل أنه مجنون ويُسمعه جميع أنواع السباب المعروفة والغير معروفه لكنه قبل أن يرد سمع صوت إنهاء المكالمة لينهي ذلك الغريب تلك المكالمة الأغرب وتبدأ نار الفضول تشتعل بداخله كالأتون لتلتهم عقله التهام..

المتصل يبدو أنه يعرفه ويعرفه جيدا أيضا لكن من يكون ذلك الشخص وأي صالون ونور الذي يتحدث عنهم

تلك المكالمة الغريبة ليس لها الا تفسيران..

الأول ان تكون تلك المكالمة خدعه من أحد أصدقائه أو

التفسير الثاني أن يكون المتحدث مختل ما يريد أن يعبث معه

أختلعه من شروده صوت رنة تليفونه مجددا نظر الى الشاشة فوجد رقم عصام يتصل به ليستعجله على النزول فأغلق التليفون ونزل لملاقاته

ما ان رأى عصام نوح حتى بدأ بمداعباته التقليدية..

- ساعة مستنيك..انت خلاص أتغيرت يا صاحبي وبعتني

أبتسم نوح رغما عنه..

- تعالي بس نجيب السجاير صاحبك خرمان
- مش سجاير وبس لا ده أنا كمان معايا «أستفايه» وهم هنولعها سوا
- فل أوى الكلام ده

ذهب كلاهما للجلوس خلف كشك عم على.. ذلك الكشك الصغير ذو اللون الرمادي الباهت هو صديقهم الثالث وكاتم أسرارهم الذي يشاركهم الكثير

من اللحظات التي تمر عليهم
ذهبا بعد شراء السجاير في مكان مظلم نسبيا خلف الكشك ليبدأ عصام في لف سيجارتي الحشيش يؤدي تلك المهمة بسعادة كخبير مفرقعات ينجح في تفكيك قنبلة
- إيه يا عم إيه أخبارك وأخبار الجامعة
- مبنزلش والله ولا بشوف وشها
- يا عم انجز نفسك ده أنت زمانك بقيت دكتور في الجامعة بقالك سبع سنين يخربيتك
- سيبك مني المهم انت إيه أخبارك وعامل إيه مع يسرا
- ما أنا لسه كنت هاحكيلك في مشكله بينا وقافشين على بعض.. خد بس أفرك السجاير على ما أسيح
تناول نوح السجائر من عصام وبدأ بعملية تفريغ التبغ من السجائر وتنقيته بينما يشعل عصام النار بقطعة الحشيش
- المهم كمل اللي حصل
- الحوار بدأ من يومين كده كنا خارجين مع بعض وموبايلها رن بصوت مسج عالفيسبوك سألتها ده مين قالتلي ده..
قاطعه نوح معطيا أياه السجائر ليبدأ عصام لحظاته الممتعة في لف (الصاروخين) كما يحب أن يطلق عليهما
- المهم أكملك طلع واد عندها عالفيسبوك شغال في بنك وبيكلمها بقاله كام يوم وقال إيه تقولي أصحاب..
تناول نوح سيجارة الحشيش من يد عصام مشعلا إياها وسحب أول نفس بعمق شديد صانعا سحابة كثيفة من الدخان
أكمل عصام
- وانا قلتلها ترميه من عندها وقالتلي ماشى ونفضتلي وبعد كده.. إيه رأيك يا صاحبي

- لا أستفايه كفاءة
- مش في الحشيش في الكلام الى عمال برغي فيه ده
- كمل بس باقي التفاصيل و هقولك في الأخر
- ماشى..

في تلك اللحظات كان نوح قد وصل لثلث السيجارة أو أقل قليلا وقد شرد ذهنه تماما عن عصام ومشكلته.. بدأ عقله يعمل عكس أرادته باسترجاع بعض أحداث ليلته حسب ما يذكر -وهو يذكر القليل- خاصة بعد تلك السيجارة اللعينة التي كانت تسبب غيمة من الدخان تغطى عقله وتحجب عنه الرؤية.. ورغم أن ذلك ما كان يحاول الوصول إليه منذ بداية اليوم ولكن تأبى تلك الذكريات أن تتركه بل أنها تجاهد للخروج الى عقله..

***

بدأت ليلته في الثامنة من مساء ذلك اليوم عندما خرج والداه وأخته لحضور عُرس عائلي وتوجه هو للقاء يارا حبيبته تلك الفتاة التي يعشقها ويعشق كل ما يختص بها من ابسط وأتفه التفاصيل الى أكثرها تعقيدا..

كان يعلم أن هذا اللقاء هو الأخير لهم..

توجه بسيارته السوداء لمنطقة الزمالك كان يقود السيارة ببطء متعمد كأنه يؤجل أمر ما رغم علمه بحتمية حدوثه..

متمهلا كان ينظر للطريق حوله لذلك الطريق الذي لطالما ذهب إليه مبتسما ابتسامة مريض يجد الدواء لدائه..

كان يذهب للقائها معظم الوقت في الزمالك وكانت هى تشاركه حبه لذلك المكان الساحر تلك الجزيرة التي تأسر روحيهما..

ذهب لمطعم وبار»أبرتيفو» بالزمالك ذلك المطعم ذو الطابع الجميل الهادئ والموسيقى الساحرة التي تنساب لتشعرك بنشوي خاصة بجانب نشوة

obeikan.com

الخمر ليسببوا مزيج هائل من السعادة..
نظر في ساعته كانت تقترب من الثامنة والربع عندما لمحها عند المدخل نظر إليها كأول مرة رآها فيها كانت رائعة وساحرة في كل شيء بداية من الفستان الأزرق الذي يظهر جمال عينيها الخضراوتين ويجعلها تبدو كالملائكة لذلك الحذاء ذو الكعب العالي الذي يناطح الأبراج طولا تدق به على الأرض دقات لها وقع خاص على قلبه كأنها تعزف مقطوعة موسيقية خاصة بها تهز جسدها الممشوق هزات خفيفة تزيدها أثارة وجمال وبشرتها الناعمة البيضاء التي تتناسب تماما مع ذلك الشلال الأسود الذي ينساب على كتفها الأيسر في روعة لو رسمها فنان لتفوقت على لوحة ليوناردو دافنشي «لاسكابيلياتا».. هكذا كان يراها دائما
تقدمت نحوه بخطوات تحمل الكثير من الخوف والتردد كانت تتحاشى النظر لعينيه خوفا من أن يرى فيهم أثار البكاء..
جلست أمامه وبدأت بالحديث
- أزيك يا نوح
رد عليها بأقتضاب وعينيه مازالت معلقة عليها..
- تمام الحمد لله
- طلبت مني أننا نتقابل وأدينا أتقابلنا.. عايز تقولي إيه؟
قاطعهم وجود الجرسون الذي تدخل مقاطعا الحوار
- المنيو يا فندم أتفضلوا
رد عليه نوح
- لا شكرا أحنا عايزين واحد أسبرسوا و ٢ I.D بطيخ
لم يحتاج نوح أن يسألها عما تريد فهو يعرفها جيدا ويعرف كم تعشق الأسبرسو ورائحة القهوة..
أبتسم الشاب في هدوء ساحبا قائمة الطعام
- تؤمروا بحاجة تانية يا فندم

- لا شكرا
- حالا يا فندم
تراجع الشاب تاركا لهما المجال ليعودا لحديثهم المنقطع
- طلبتلك أسبرسوا ولا كان نفسك في حاجة تانية ؟
كانت تعلم جيدا أنه يتحاشى الإجابة عن سؤالها وهى لم تكن تستعجل الإجابة

***

أنقذ عصام نوح من دوامة زكرياته بصوته العالي وهو يقول
- بس يا سيدي وانا قلتلها ترميه من عندها وقالتلي ماشى ونفضتلي وبعد كده.. ها إيه رأيك بقي مين الغلطان ومين الي لازم يصالح مين
بدأ نوح يستعيد جزءا من وعيه تدريجيا.. كان يشعر بثقل غريب برأسه ولسانه ولاحظ أنه أنتهى تقريبا من تدخين سيجارة الحشيش..
لماذا يسمع صوت عصام كأنه يناديه من شارع أخر وبالطبع لم يكن قد أنتبه أو سمع أي شيء عن المشكلة لكنه قرر أن يجيبه برد دبلوماسي حتى يريح عصام ويرتاح منه ليتركه لحاله..
- كلمها وكبر دماغك وفهمها غلطتها
كان عصام ينظر له بأستغراب لا يعلم له سبب
مازحه عصام
- أيوه أنا مستني حضرتك تجاوبني مكونتش بحكي لأمي أنا
ماذا ينتظر منه هذا اللعين الم يجبه من دقائق لم يكن نوح يعلم أنه عندما تكلم فتح فمه فقط لكنه لم يقل ولو كلمة واحدة.. الآن لا يستطيع الرد عقله يخذله ولسانه يعانده كأنما تحجر داخل فمه لا يستطيع النطق بأي رد كان قد انهي تدخين السجارة وأنزلقت بقاياها من بين أصابعه دون أن يدرى..

openkan.com

تلك الخمر اللعين قد بدأت تختلط بتأثير الحشيش لتفتك بعقله يشعر برأسه كأنما وضعت في غسالة فول أوتوماتيك تعمل بكل قوة وكفاءة مرة أخرى يستفيق جزئيا بسمعه وليس بعقله على صوت عصام العالي

- انت ولا معايا أصلا بقولك إيه يسرا بتتصل انا همشي بقى أروح أرد عليها سلام وقوم رَوّح أنت كمان علشان عم على قفل الكشك وأنت شاكلك تعبان أصلا

انسحب عصام متجها لمنزله وتحرك نوح للذهاب لمنزله لكنه رأي ما استوقفه وكبّل قدماه بالأرض وأيقظ الجزء المتبقي من حواسه وبعض خلايا عقله التي لم تكن قد ماتت

***

opeikan.com

- ٢ -

- الو إيه يا بيبي انتوا لسه في الفرح ولا روحتوا ؟
- لسه في الفرح وهنروح دلوقتي أهو
- ماشي ماشي الساعة اتناشر ونص لولا بس انك مع أبوكي أنا كنت خربت الدنيا
ردت مازحه
- يا سلام يا سي السيد
- آه طبعا سي السيد أومال انتي فاكره إيه يا أمِينه
- طب قولي أنت عملت أيه مع باباك
- ابداً خرجنا واتغدينا مع بعض أنا وهو ومحمد وخدت منه فلوس الكهربا وهنزل أجيب الحاجة اللي محتاجنها بكره
- طيب تمام الحمد لله وأخوك محمد أتبسط
- آه مَوّت نفسه في التنطيط واللعب ونام في العربية واحنا راجعين.. المهم هسيبك أنا ترجعيلهم و تتبسطي بالفرح ولما تروحي كلميني طمنيني عليكي
- حاضر يا حبيبي باي
- باي

obeikan.com

أغلقت الهاتف المحمول وعادت لقاعة الفرح لتجلس بمقعدها بجانب والديها في تلك القاعة الفخمة بأحد الفنادق المعروفة المطلة على النيل..
نظرت إلى بنت عمها العروس وهي ترقص الرقصة الأخيرة في الفرح قبل أنتهاءه وبالطبع تكون تلك الرقصة على أنغام أغنية فيروز المميزة «سهر الليالي» لينضم جميع أصدقاء العروسين إلى تلك الرقصة.. لم تكن منه تفهم السبب الرئيسي لذلك التقليد الذي أصبح عادة تشترك فيه جميع الأفراح المصرية لذلك أتخذت قراراً بداخلها أن تكسر تلك القاعدة وتلغى هذه الأغنية من قائمة أغاني فرحها
- عقبالك كده أن شاء الله لما نعملك فرح أحلى من ده
قاطعت والدتها حبل أفكارها بتلك الجملة لتجد نفسها ترد بشكل تلقائي
- ربنا يخليكوا ليا يا رب وتفرحو بيا.. مش يلا بقى نقوم نبارك للعروسة ونمشي
لم يكن الأمر يحتاج لمجهود أو ذكاء ليفهم أبيها أن هذه رغبة خطيبها هشام لكنها لن تقول لهم هذا أحتراماً لهم..
هو يحترم هشام كشخص ذو مستوي أخلاقي، اجتماعي ومادي جيد.. يعمل في بنك نائب مدير فرع رغم سنه الصغير فهو في التاسعة وعشرون يكبر أبنته بأربع سنوات متدين وأهم شيء بالنسبة لأبيها أنه يعلم أن هشام يحبها ويخاف عليها ويحترمها و هي أيضا تحبه وذلك ما جعله يتغاضى عن أي شيء آخر..
فهو لم يكن ليضحى ويعطى أبنته الوحيدة لأي شخص لا يعرفه ويثق أنه سيسعد أبنته فهو يحبها كثيرا وهي شديدة التعلق به
نظر إليها نظرة مملؤة بالحب والحنان وأبتسم قائلا
- يلا بينا

***

يارا بمعنى المحبوبة أو الطاهرة الحنونة هكذا كان يراها إنسانة حنونة الى أقصى الدرجات كان يتعامل معها ليس كحبيبته فقط بل كطفلته التي يددلها ويخاف عليها كثيرا كانت أغلى ما يملك فهى بالنسبة له ملكية خاصة يحرَم على غيره مجرد التفكير فيها..

هكذا تتذكر يارا كلامه وتعامله معها..

أرادت من نوح أن يجيب عن سؤالها عن سبب طلبه في أن يراها

- فاكره أول مرة شوفتك فيها

لم ترد عليه ولم يكن ينتظر رد.. سرح كل منهما بخياله لتلك الذكرى

قابلها أول مرة في الجامعة تعرف عليها عن طريق بعض الأصدقاء المشتركين أبرزهم ندى وهى صديقة لأخته منّه كان أول لقاء لهما في الجامعة بعد أسبوع من معرفته بها..

انتظرها خارج مبنى المحاضرات (العيوطى) الذي كان يمقته بشدة كان يشعر أن اسم المبنى يكفى أن يصيبك بالكآبة دون الحاجة لحضور محاضرات..

انتظرها ذلك اليوم بورده كانت أول ورده تهدى لها في حياتها أحمرت وجنتاها خجلا أكثر من أحمرار الوردة لتزداد جمالا

كانت هى في السنة الأولى لها بكلية التجارة جامعة القاهرة وكان هو يكبرها بعامين في نفس الكلية استطاع أن يحوز على أعجابها سريعا بأسلوبه الراقي ومساعدته الدائمة لها وكان أكثر ما جذبها فيه ثقته بنفسه وخفة ظله وشهامته كانت تري فيه الأب والحبيب والبطل والفارس الذي طالما أنتظرته..

كان نوح أول حب يدخل حياتها..

حبه لها واهتمامه بها وبكل التفاصيل الصغيرة المتعلقة بها أشعلت نار الحب بداخلها تلك النار التي لا تنطفئ.. اختطفها من دنياها الصغيرة الى عالم اخر عالم الى عالمه هو كانت ترى كل شيء بمنظوره هو وكانت تشعر بالسعادة لمشاركته في أرائه وأفكاره..

للحياة مقاييس مختلفة بنظره فهو يرى النجاح في السعادة ويرى المال مجرد

obeikan.com

أوراق ملونة لا قيمة لها.. علمها أن الحب هو أوكسجين الحياه بدونه لا معنى للحياه بالنسبة له العالم أصبح ملئ بالموتى الأحياء أو الزومبي كما يحلو له أن يطلق عليهم وهؤلاء بالنسبة له هو كل من أختار أن يحيا فقط لكن لا يستمتع ويعيش حياته بسعادة حقيقية كان يقول لها دائما أنه يفضل الموت على أن يعيش كزومبي وأن المقولة الوحيدة التي يؤمن بها تماما والتي كان قد قرأها في مكان ما لا يذكر تحديداَ إذا كان موقع تواصل اجتماعي أو كتاب أو غيره لكنها ترسخت في عقله تماما «Stop existing and start living»

***

لم يكن ما رأه نوح شيء غريب لتلك الدرجة التي تجعله يتوقف..
رأى نوح سيارة مركونة ونور صالون السيارة مفتوح لم يتأكد فعليا مما رأه اقترب من السيارة ليتأكد من أن نور الصالون مفتوح بها..
لم يكن ذلك ليستوقفه أو يجذب انتباهه ولو للحظة في أوضاعه الطبيعيه لكنه لم يكن في وضع طبيعي جسديا أو نفسيا.. كان منهك القوى ولا يقوى على التفكير السليم بعد غياب كل أسباب المنطق من عقله بسبب إختلال عقله بالخمر والمخدر
استوقفته تلك الجملة التي انتشرت لتغزوا عقله كالسرطان من تلك المكالمة المجهولة التي لا يذكر منها الآن سوى تهديد ما وجملة «نور الصالون مفتوح ليه».. لولا تلك المكالمة لم يكن ليتوقف ابداً لكنه الآن لا يهتم سوى بصاحب تلك السيارة ولماذا ترك نور الصالون مفتوح ما الذي يمكن أن يحدث ليترك نور صالون سيارته مفتوح..
هل هو متزوج أم أعزب؟ هل لديه أطفال؟.. لابد أنه متزوج وعنده أطفال وهم من لعبوا في النور وتركوه مفتوح أو يمكن أن يكون قد فقد شيئا ما في سيارته فكان يبحث عنه وفتح نور صالون السيارة ونسّي أغلاقه أو يمكن

obeikan.com

أن يكون النور لا يعمل جيدا أوهناك باب بالسيارة مفتوح لم يغلق جيدا الا يعلم أن ذلك يمكن أن يتسبب بسرقة سيارته..؟ لابد أنه فتحه عن قصد ليكتب شيئا ما ربما تكون رسالة لابد أنها رسالة غرامية.. لا لا يمكن أن تكون رسالة لا يوجد من يرسل رسائل ورقيه الى الآن الجميع الآن يستخدم التكنولوجيا ويرسل الرسائل من المحمول اللعنة على التكنولوجيا قضت على كل ما هو جميل..

يمكن أن يكون أحد ما أجبره على فتح النور أو ربما أحدهم كان يحاول سرقة السيارة ولم يستطع ففتح نورها ليبحث عن شيء أخر يسرقه..

لم تكن الأجابات والأحتمالات تنتهي في عقله عندما مرت قطة بجواره حامله معها السبب المنطقي لإجابة السؤال الذي حيره..

«نور الصالون مفتوح ليه»

قطعاً قطة هى من فتحت النور تلك القطط اللعينة لا تترك شيئا في مكانه أبدا استقر رأيه أخيرا أن قطة هى من تركت نور صالون السيارة مفتوح كانت كل هذا الحوار يدور بداخل عقل نوح المخدر ينسج عقله مئات الأجابات وهو يقف كالتمثال إمام السيارة..

تراجع للخلف مبتعدا عن السيارة قليلاً لا يدري كيف بدأ هذا النقاش لينتهي بلعنه للقطط ولا يدرى كم مر عليه من الوقت على هذا الحال لم يخرجه من كل تلك الأفكار سوى صوت صرير عجلات سيارة على الإسفلت مندفعة بكل قوة تحاول التوقف دون فائدة أو هكذا خُيّل له خاصة أن ضوء كشافات السيارة كان يغشى بصره ويحرمه من الرؤية تماما..

سيارة مندفعة بأقصى سرعة وصوت اصطدام قوى..

كان ذلك أخر ما رأه وشعر بيه نوح قبل أن يطير جسده في الهواء لمسافة متر ونصف أو أكثر ليعود مرتطماً بالإسفلت بكل قوة

***

obeikan.com

obeikan.com

- ٣ -

عاد عصام لحجرته وكان يتحدث مع خطيبته يسرا على الواتس اب (أحدى برامج الشات) بعد أن أنهوا المكالمة بشجار أخر.. تلك البرامج المستفزة التي كان يمقتها فهى لا تعطى أي مصداقية للمشاعر أو توضح أي شيء أخر مجرد رسائل وكلام بلا إحساس حقيقي يثير اهتمامه بل أنه أعتاد أن يقرأ تلك الرسائل بطريقة ال Robot لكنه مجبر الآن على التحدث من خلاله يسرا لم تكن ترد على تليفوناته بسبب شجارهم الأخير الذي لم يكن يتذكر سببه الآن أي من هما..

لم يجذب انتباهه بعيد عن ذلك الشجار سوى صوت صرير عجلات سيارة وصوت اصطدام ذهب لنافذة غرفته لرؤية ما يحدث كان المشهد الذي رآه مروعا..

رأى شخص ما ملقى في وسط الطريق ينزف ولا أحد بجانبه تلك المسافة بين نافذة غرفة عصام وموقع الحادثة بأقل تقدير تحتاج الى أربع دقائق لكن عصام لم يحتاج سوى دقيقتان فقط للوصول لذلك الشخص الذي لم يكن سوى صديقه نوح..

ملقى على أسفلت الطريق مدرجاً في دمائه أرتبك عصام فهو لم يتعرض لمثل هذا الموقف من قبل.. لم تمر دقيقتان على ذلك الحال حتى وجد بجانبه

obeikan.com

شاب تبدو عليه القوة البدنية وتجتاح معالم وجهه اثار دهشة شديدة كما لو انه رأى عفريت..

كان عصام يطلب الإسعاف في تلك اللحظات عندما أوقفه ذلك الشخص

- مش هيقدر نستنى الإسعاف ساعدني بسرعه نشيله نحطه في العربية وننقله على المستشفى

أستجاب عصام لكلام الشاب فورا لم يعلم لماذا أستجاب فورا دون نقاش ربما لأسلوب الشاب الذي يبدو عليه الثقة فيما يقول.. مخالفين كل قواعد الإسعافات المعروفة بعدم تحريك مصاب حتى لا تزيد أصابته بدأ بحمل نوح أمام ذلك الشخص الى سيارته ولدهشة عصام الذي لم يتوقع وجود أحد بالشارع في ذلك التوقيت كان الشاب يملك سيارة جيب مركونة على بعد أمتار من الحادث..

تحركت السيارة سريعاً يخيم عليها صمت الموتى حتى قطع الصمت عصام سائلا الشاب

- هو أيه الى حصل؟

- هو كان واقف في وسط الشارع بقاله خمس دقايق وجت عربيه لانسر فضي بسرعه إديته كلاكسات بس هو متحركش كأنه مش سامعها واللي كان سايق معرفش يتفاداه وخبطه وبعديها جري بسرعه.. هو انت تعرفه؟

- اه ده صاحبي أنا سمعت صوت الحادثة ونزلت لقيته زي..

لم يستطع عصام إنهاء جملته عندما قاطعه

- وصلنا المستشفى

***

- آلو

- أيوه يا حبيبي إحنا وصلنا البيت

- طيب تمام حمد الله على السلامة

obeikan.com

- الله يسلمك..أنت كنت بتعمل أيه صوتك بيقول أنك مشغول
- آه فعلا الفلوس الى كنت واخدها من بابا ضاعت منى
- أيه! طيب دوّرت عليها كويس
- أه وملقتهاش
- طيب دوّر تاني أو شوف ممكن تكون وقعت منك فين
- وقعت في العربية
- متأكد.. ؟
- أه كلمت بابا من شوية ولقاها في العربية عنده الحمد لله
- طيب تمام الحمد لله
أجابها مازحاً
- أنا خفت لتكون ضاعت.. كنا هنقعد فالضلمة أنا وأنتي وده بالنسبالي موضوع جميل
ضحكت برقة ولم تُعلّق فهو يعلم أنها تخجل من أبسط الأشياء
- أنا طالعه البيت دلوقتي هقفل معاك دلوقتي وهكلمك بعدين
- طيب ماشى يا حبيبتي.. سلام
- سلام
أغلقت منه الهاتف وارتجلت بكسل من السيارة تتبع والديها نحو المنزل ولم يلحظ أي منهم في ضوء عواميد الإنارة الضعيف بقعة الدماء التي زيّنت الطريق..
صعدوا جميعا بالمصعد للدور السابع وسط ممارسة لتلك العادة النسائية الأصيلة ثرثرة بين منّه ووالدتها حول الفرح والعروس وفستان العروس والمعازيم بينما كان يقف والدها في دور المتفرج كشخص يتابع فقرة استعراض شيقة..
وصلوا للمنزل أخيراً ودس والدها المفتاح في الباب ليجد نور الصالون مفتوح توقعوا جميعا وجود نوح بالمنزل.. دخلت منه غرفته تتفقده فلم تجده

obeikan.com

- نوح مش في أوضته
- ممكن يكون لسه مرجعش من بره
- ازاي يعنى لو مرجعش يبقى مين الى فتح نور الصالة
- أكيد إحنا نسيناه قبل ما ننزل
- لا أنا متأكدة إني قفلته قبل ما ننزل

أثناء ذلك الجدال وتلك التساؤلات رن هاتف المنزل معلناً الإجابة عن جميع تسائلتهم

***

كانت الساعة تقترب من الثانية وصباحا ويارا مازالت ترقد بسريرها الوثير عازفة عن النوم، تريد فقط التفكير في ما حدث في تلك الليلة وما سيحدث بعدها رجعت بعقلها الى اللحظة التي سألته فيها عن سبب طلبه أن يراها.. أنسحب الجرسون في هدوء كما جاء..

نظرت يارا له في قائلة في هدوء بركان على وشك أن ينفجر فيصيب الجميع بحممه الملتهبة

- أنت بردو مقلتليش أنت طلبت ننزل النهارده علشان تقول أيه ؟

لم يستطع الإجابة عن سؤالها فهو نفسه لم يكن متأكداً من إجابة هذا السؤال لكنه أراد أن يكسب فقط المزيد من الوقت

- هو أحنا أيه اللي وصّلنا لكده ؟

لم تفهم المغزى من سؤاله أو كيف يجيب بذلك السؤال عن سؤالها..

دائما هو هكذا غامض لا يفصح مباشرة عما بداخله وهي دائما ما كانت تكره تلك الصفة فيه كانت دائما تقول له أن الشخص الغامض هو شخص لئيم وهى لا تشعر بالراحة في التعامل مع هؤلاء الأشخاص.. كان هو الحالة الخاصة الوحيدة في حياتها حبها له هو من كسر تلك القاعدة.. لكن هذا ليس وقت الغموض فهو لم يأتي بها ليعطيها المزيد من الألغاز وقبل أن

obeikan.com

تجيب عليه سمعت صوت أغنية يعرفها كلاهما جيداً..

Those Were The Days My Friend

تلك كانت أغنيتها المفضلة.. نظرت الى عينيه وهى غير مصدقة لتلك الصدفة وأجابت

- مش فاهمة سؤالك ده بيجاوب على سؤالي إزاى؟

كان يتوقع منها مثل هذا الرد، أغمض عينيه وأستمع للأغنية وأبتسم قائلاً

- معلش خديني على قد عقلي وجاوبي على سؤالي.. هو أحنا وصلنا كده أزاي وليه؟

لم يكن يريد إجابة شفهية فهذا لم يكن وقت الكلام بل أكتفى كلاهما مرة أخرى في استرجاع بعض أحداث الماضي في صمت

Those were the days my friend

We thought they'd never end

We'd sing and dance forever and a day

We'd live the life we choose

We'd fight and never lose

Those were the days, oh those were the days

***

obeikan.com

obeikan.com

-٤ -

في ذلك الوقت كان نوح يرقد بغرفة استقبال الطوارئ بمستشفى الندا بالمنيل.. وقف عصام مع موظف الأستقبال يستكمل بيانات نوح ويحاول الاتصال بمنزله ليبلغ أهله بذلك الخبر المشؤوم

- طيب حضرتك إحنا محتاجين الفين جنيه تحت الحساب

قالها موظف الأستقبال بذلك البرود وببجاحة المستشفيات الخاصة التي تعتبر الإنسان سلعة تباع وتشترى وقابلة للربح

رد عصام محاولا ضبط أعصابه لأقصى درجة

- أنا بكلم أهله دلوقتى وهييجوا بالفلوس المطلوبة أهم حاجة أنه يتعالج وبسرعة

تدخل الشاب في تلك اللحظة مخاطبا عامل الأستقبال الذي بدا عليه التذمر لعدم دفع النقود

- أنا النقيب ياسين سليم ياريت بس تهتموا بيه والفلوس هتجيلك فورا

انتفض عامل الأستقبال كمن مسه تيار كهربي بقوة ألف فولت

- حاضر يا فندم حالا حضرتك اطمن خالص أحنا هنعمل اللازم وزيادة

نظر عصام لعامل الأستقبال نظرة أستحقار مستفزة وسدد نظرة تحمل كل الفضول الذي يعتريه ليعرف سر اهتمام ياسين بهذا الشكل.. أكمل ياسين

obeikan.com

- شكرا
- العفو يا فندم اتفضلو استريحوا الدكتور نازل حالا
لم تمر دقيقتان حتى نزل الدكتور محي الدين طبيب الطوارئ المناوب بالمستشفى.. رجل كبير السن أصلع الرأس إلا بعد الشعيرات التي تناثرت بشكل غير منظم على جانبي رأسه كأنها أصرت على التمسك بتلك الرأس..
دخل الدكتور مباشرة للغرفة ليجد نوح مغطى بالدماء تناول جهز قياس الضغط ليتأكد من مؤشراته الحيوية ثم التفت للممرض الذي يقف بجواره دون فائدة ليعطيه أمر مباشر بتجهيز غرفة العمليات فوراً

***

هدأ عصام ويس نسبيا بعد ظهور الدكتورعلى الأقل ظاهريا لكن داخليا كان كلاهما يعصف به القلق كمريض يعانى من الحمى..
بركان من الأسئلة يتفجر بداخل كل منهما في صمت ملقيا حممه بداخل عقولهم ليحرق أعصابهم
ياسين يتذكر الآن كل شيء كأنه يعرض أمام عينيه شريط حياته بداية من قبل دخوله كلية الشرطة.. كان والده يمنعه من الخروج ويقلل اختلاطه بكل من حوله فهو ابنه الوحيد وكان يرى أنه بذلك يحفظه من المخاطر وصحبة السوء.. لكن ما لم يعلمه والده في ذلك الوقت أنه يخلق شاب بلا هوية أو شخصية إنسان لا يستطيع أتخاذ قرار فحياته حتى دخول كلية الشرطة لم يكن اختياره بل اختيار أبيه..
وحتى لو كان الأمر بيده لما استطاع اختيار أي كلية فهو لا يعرف ما هى اهتماماته أو هواياته لم يعتاد أن تكون له رغبة في شيء.. أعتاد أن يتخذ له أبيه القرارات تغيرت شخصيته قليلا بفضل التحاقه بكلية الشرطة.. أصبح أكثر عناداً وشجاعة وحاد وعنيف نوعا ما في تصرفاته فهو يذكر تلك الحادثة في السنة الرابعة له التي كاد أن يرفد فيها من كلية الشرطة عندما أنهال ضرباً

على صديق له أستفزه في مشادة كلامية..
يعلم أنه يحبها أو هكذا أراد أن يقنع نفسه..
ما الذي دفعه لاختيار يارا حقاً..
يتذكر الآن ذلك اليوم الذي ذهب فيه مع أهله لخطبة يارا بنت عمه.. كانت لا تبدو عليها السعادة وكيف تجاهل هو تلك العلامة واقنع نفسه بعكس ذلك.. رغم شعوره بوجود شخص
أخر بحياتها لا يعلم لماذا أصر عليها؟
هل يحبها حقا..؟
أم يريد فقط الشعور أنه أختار شيئا ما بحياته لم يعلم حقا حقيقة شعوره ولكنه قرر أن يخوض الأمر لنهايته..
لم يمر كثيرا من الوقت قبل إعلان خطوبتهما حتى قرر أن يراقبها واستعان ببعض أصدقائه وسلطاته في الشرطة ليجبر أحد الأشخاص الذين يعملون في شركة الاتصالات التابعة لها يارا أن يعطيه تقرير بكل مكالمتها..
بحث عن أكثر الأرقام التي تتكلم معها حتى تأكد من وجود شخص يحمل أسم نوح في حياتها..
في ذلك اليوم المشئوم بعد أن عرف الحقيقة شعر كأنه تلقى صفعه على وجهه.. ليس صفعة واحدة بل عدة صفعات متتالية.. شعور قاتل بالمهانة كان يتملكه ليس لأنها تحب شخص أخر بل لإحساسه بالتعرض للخيانة
بعض المؤرخون يجزمون أن ما قتل يوليوس قيصر لم تكن طعنات الخناجر بل هو من أستسلم للموت خاصة بعد طعنة بروتس صديقه..
لكنه لن يستسلم لذلك الشعورالقاتل بل قرر أن يرد عليه بكل قوة وحزم قرر الانتقام لكرامته من كلاهما..
كان ينوي أن ينتظر أن يجتمعا معا ويفضحهما علنا ويأخذ بحقه من ذلك التافه نوح ولم يمض أسبوع حتى تحقق ما أراد

***

openkan.com

تعرف أن العلاقة بينهم لم تكن يوما عادية فهى لم تكن علاقة حب فقط هى ما تجمعهم بل ارتباط بين روحيهما..

هو لم تكن لترضيه أي فتاة فهو يريد فتاة بمواصفات خاصة ولم يجد ما يبحث عنه سوى في يارا فتاة جريئة وشجاعة، صاحبة قرار مثقفة وذكية لا تخجل من شيء فعلته أو تندم عليه تفعل ما تريد ولا تلقى بالاً لرأى الناس هكذا كانت منطلقة.. متحررة وخفيفة الظل باختصار هى كانت شيء واحد مختلفة..

وهو يبحث دائما عن الاختلاف لا يرضيه المقبول أو العادي لأنه يعشق الاختلاف والتغيير على عكس أغلبية الناس التي تخشى التغيير وتشعر بالتهديد من أي اختلاف وتشعر بالأمان في المألوف والتقليدي..

وهو لم يكن تقليدي في حبه لها..

كان يرى أنه سيفسد أختلافها لو تعامل معها بأسلوب تقليدي وكان أكثر ما يجعلها متمسكة به أنه رأى فيها ذلك الاختلاف ميزة يريدها أن تحتفظ بها وليس كعيب يريدها أن تغيره أو تخفيه

أربع سنوات من ذلك الحب والتفاهم ذلك ما قدمه لها..

بدأت تشعر في نهاية السنة الرابعة ببعض التغيير في تصرفاته خاصة بعد أن عرفت منه انه يشرب حشيش فهو لم يكن يخفى عنها شيئا وهى لم تكن تضغط عليه ليتخلى عن شيء يريده.. مرت تلك السنة سريعة حتى كانت أول صدمة لها بعد السنة الرابعة..

كانت هى قد تخرجت من الكلية ونوح مازال يدرس بالسنة الرابعة كان دائما ما يقول لها أنه سينجح إذا أراد.. كان يبعث فيها الطمأنينة بثقته في نفسه ويعدها أن سينجح هذا العام كانت تمنى نفسها طوال العام بتخرّج نوح حتى يستطيع أن يتقدم لها ولكن تأتي الريح بما لا تشتهى السفن لم يتخرج نوح..

لم يمض الكثير حتى تقدم لخطبتها أكثر من شخص أولهم كريم photographer

قابلها في فرح أحدى صديقاتها ثم باسم ذلك الولد المدلل الثرى الذي يعمل معها في بنك من أكبر البنوك وجاء عن طريق صديقة لوالدتها.. لكن رغم كل شيء كانت تقابل طلباتهم بالرفض وتبدى أسباب وهمية لذلك الرفض فالسبب الحقيقي أنها ستعطى قلبها قبل جسدها لمن سيتزوجها وقلبها لم يكن ملكا لها..

قطع حبل أفكارها وصول الجرسون بعد أن أشار له نوح أن يأتي ليطلب منه مزيج مختلف من كؤوس الخمر المليئة بالكحول

***

لم يكن عصام بأفضل من ياسين حالاً.. كان يدور بداخله ألف سؤال

من هو ياسين؟

ماذا كان يفعل في ذلك التوقيت؟

لماذا يوقف سيارته بجانب منزل نوح ؟

وتوقيت وصوله له بتلك السرعة؟

وهل رأى السيارة التي صدمته أم لا؟

ولماذا هو مهتم لهذا الحد بالحادث؟

ألاف الأسئلة وكلها بدون أي إجابة.. اختلطت بداخله تلك الأسئلة بتوتره وقلقه على نوح بالإضافة لإحساسه بالذنب تجاه نوح وتجاه فشله في حياته فهو من عرفه بالمخدرات وشرب الخمور في السنة الرابعة لهما في الكلية عندما دعاه لحفلة أقامها أحد أصدقائه في فيلا والده بالمريوطية قبل تلك الحفلة لم يكن نوح قد أتجه لمثل تلك التجارب من قبل بل لم يكن يشرب السجائر بشكل دائم

نظر عصام لسقف غرفة الانتظار يتمعن في لونها الأبيض وفى عقله تتردد جملة واحدة..

obeikan.com

كم تغير نوح بعد تلك الحفلة..
لا يعلم ما الذي أصابه فعليا لكنه عندما التقى به بعد يومان شعر ببعض الاختلاف في طريقة تفكيره.. يسأل أسئلة وجوديه وعميقة كفيلسوف متمرس.. يتذكر الآن أسئلته وتلك المحادثة بكل وضوح
- أحنا ليه بنعمل كل ده؟
- كل أيه ولا مؤاخذة
- بنذاكر كلام مبنفهموش علشان نقدم على شغل مبنحبوش فنجيب فلوس مش مكفية احتياجاتنا علشان نتجوز ونخلف ونموت
نظر له عصام نظرة استغراب بلهاء قبل أن يعلق ضاحكا
- يا عم أنا لسه بلف الحشيش أهو أنت لحقت عملت دماغ
نظر له نوح بضيق
- أنا مش بهزر
- وأنا مش فاهم قصدك أيه
- يعنى أكيد إحنا مش عايشيين بس للأسباب دي اللي سبقنا ليها ملايين البشر
صمت قليلا ثم أكمل
- أكيد كل واحد فينا له هدف أهم من أنه يعيش حياة تافهة بالشكل ده
- ومين قالك أن دي حياة تافهة في ناس بتشوف أن ده هدف عظيم وبتحاول تسعى ليه
- تفاهة الهدف أن سبقك ليه كتير من الناس قبلك وكتير هييجوا بعدك.. أكيد ليك مهمة خاصة بيك لوحدك أنت بس اللي المفروض تعملها مش حد تاني
رد عصام ساخرا
- طيب ما انت الناس دي ليهم مهمه خاصة محدش غيرهم يقدر يعملها ولا هما قادرين يعملوها فبيعملوا اللي بيقدروا عليه وهو أنهم يعيشوا

ويتكاثروا ويقرفونا
لاحظ عصام نظرة إحباط على وجه نوح وهولا يريد أن ينهى السهرة في جدال فأكتفى بالموافقة الضمنية على كلامه
- يمكن برضه عندك حق
اللعنة على تلك الذكريات..
دائما ما تسائل لماذا تصر الذكريات أن تنساب وتغزو عقلك في أشد لحظات ضعفك ؟
لماذا يأبى عقلك إلا أن يعمل ضدك ؟
لم يعلم أبدا إجابة لتلك التساؤلات..
أراد أن يشتت عقله فأخرج هاتفه من جيبه وأعاد الاتصال بمنزل نوح مرة أخرى

***

obeikan.com

obeikan.com

- ٥ -

كان رشاد صلاح يجلس في سيارته اللانسر الفضي يخيم عليه صمت الموتى لم يكن يتخيل أو قادر على استيعاب ما حدث في الساعة الأخيرة..

كيف صدم ذلك الشاب بسيارته؟

ومن هو ذلك الشاب؟

وكيف تصرف هو بذلك التخاذل والجُبن؟

لم يفكر وقتها كان الخوف من المسؤولية قد شل تفكيره تماما.. لم يرى أمامه خيار سوى الهروب كما أعتاد أن يفعل دائما فهو بداخله الآن تأكد من كلام منال طليقته عندما أخبرها أنه لا يستطيع مواجهة المشاكل بينهم وأنه سيطلقها ويتزوج بأخرى..

كم كان جارح ذلك الكلام كيف كان بتلك القسوة لكنها كانت محقة رغم ذلك عندما أخبرته أنه إنسان ضعيف وجبان ولا يستطيع تحمل المسؤولية لم يعي ذلك الا بعد فوات الأوان لو لم يكن بذلك التخاذل لما ترك شاب بعمر ابنه للموت

كان يعلم أنه أخطأ فهو لم يكن منتبه للطريق جيدا يتذكر الآن ما حدث تماما..

بعد أن أوصل ابنيه هشام ومحمد للمنزل كان متوجها لمنزله عندما أتصل

obeikan.com

به هشام يسأله ان يبحث له فالسيارة عن النقود الذي أعطاها له سابقا في ذلك اليوم ليكمل بها تجهيز شقته كان الطريق خاليا لم يكن أمامه أحد في ذلك التوقيت.. فتح نور صالون السيارة ونظر للمقعد الخلفي ووجد النقود لابد أن هشام أسقطها سهوا بينما كان يوقظ محمد عند المنزل أخذ النقود ووضعها في تابلوه السيارة التفت مرة أخرى لإغلاق نور صالون السيارة بينما كان يلف في ذلك الشارع الضيق..

في تلك اللحظة..

فوجئ بشبح شخص يعبر الشارع أمامه لم يكن الشارع يسمح بمروره بجانبه حاول تنبيه ذلك الشخص لكن الوقت كان قد فات على التنبيه ولم يستطع رشاد مفاداته لو كان منتبها أكثر للطريق ولو لم يتصل به هشام لما حدث إي من هذا

لو..

****

رفعت مِنّه سماعة الهاتف لتقطع ذلك الرنين المتصل كانت تشعر بداخلها أن تلك المكالمة لن تأتى بالخير فلا أحد يتصل الساعة الثانية صباحا ليبلغك بأخبار جيدة أبداً

- الو

- ايوه يا مِنّه أنا عصام

- أهلا أزيك يا عصام

- تمام الحمد لله.. منه هقولك على خبر بس عايزك تهدى كده

توترت مِنّه عند سماع تلك الجملة لتنطق بعصبية

- فيه إيه يا عصام.. نوح حصلّه حاجه ؟

- نوح عمل حادثة وخبطته عربية

openkan.com

- إيه !!!! إمتى الكلام ده وانتوا فين دلوقتى ؟
- من حوالي ساعة أو أقل واحنا في مستشفى الندا بس متقلقيش ان شاء الله بسيطة
لم يسمع أي رد على الجانب الأخر سوى صوت إنهاء المكالمة..
لم تنتظر مِنّه لسماع المزيد كانت بالفعل قد بدأت في الانهيار والبكاء.. جاء والديها على صوت بكائها وانفعالها لتخبرهم بصوت متهدج ذلك الخبر المشؤوم..
دقائق قليلة مرت وكانوا جميعهم في السيارة متوجهين نحو المشفى.. كانت السيارة يخيم عليها صمت قاتل ينهش عقولهم وأرواحهم وصوت بكاء لا ينقطع والسيارة تنهب الأرض في سرعة كأنها خائفة من شبح خفي يلاحقها تبتلع علامات الطريق في صمت..
لم يكسر ذلك الصمت سوى رنين هاتف مِنّه كان هشام هو المتصل ردت عليه في سرعة وبصوت باكي
- ألو أيوا يا هشام
- أيه يا بنتي مالك في إيه
- نوح عمل حادثة خبطته عربية وهو في المشفى دلوقتى واحنا رايحنله
- طيب اهدي كده خير ان شاء الله هو في مستشفى إيه؟
- مستشفى الندا
- طيب أنا جايلك حالاً يلا سلام
- سلام
****

بعد أن أبلغ عصام مِنّه أغلق هاتفه لتحاول تلك الذكريات اللعينة التسلل لعقله مرة أخرى..
يحاول جاهداً أن يحاربها بكل قوة يشعر أن مقاومته تضعف وأنه ينهار

openkan.com

تدريجيا..
ثقل غريب يسيطر على عقله..
ها هى الذكريات تجتاح عقله لتجبره على استرجاع ما حدث مرة أخرى..
كان يعلم أن هناك اختلاف رئيسي في شخصيته عن شخصية نوح وهو ما دفع أقدارهم أن تتخذ طريقان منفصلان ومختلفان..
عصام كان يعيش بمفرده منذ دخوله المرحلة الثانوية فوالديه يعملان بالإمارات وقررا إرساله لمصر ليكمل تعليمه تحت رعاية عمه الذي لا يراه سوى مرة كل عام.. وذلك القرار الذي أتخذه والديه على الرغم من قساوته الا أنه علم أنه وحده المسئول عن حياته ونفسه وأن يتحمل مسؤولية أفعاله كامله..
على عكس نوح الذي يعيش مع أبويه.. فهما مصدر أمان دائم بالنسبة له فكان يطمئن دائما أنه في أي مشكلة سيتعرض لها سيجد من ينقذه..
كان يعلم متى يتوقف لكن نوح لم يرى تلك الحدود ولم يتوقف لم ينتبه عصام لما جر صديقه إليه إلا عند سقوط نوح في الكلية في السنة الأخيرة وانغماسه بشكل أقوى في المخدرات كان لابد أن يساعد نوح لم يكن نوح جاره فقط بل صديقه منذ أكثر من عشر سنوات كان يرى فيه العائلة التي حُرم منها وتوطدت علاقتهم أكثر بعد دخولهم كلية التجارة معا..
يدين له بالفضل في أهم شيء في حياته.. نوح هو من عرفه بحبيبته وخطيبته يسرا فهى في الأساس صديقه لنوح.. عندما رآها عصام لأول مره بالجامعة لم يكن يعلم من هى أو أي شيء عنها.. كل ما كان يعرفه أن هناك كائن ملائكي أختطف قلبه من بين ضلوعه..
أحبها تماما في صمت لمدة شهر كان يراها فيه بشكل متقطع ويختلس النظر إليها في المحاضرات لم يستطع أن يخطو خطوة واحدة باتجاهها ويذكر ذلك اليوم الذي صرح فيه لنوح بأنه يحب كان نوح هو من سأله في هذا اليوم عندما رأه جالس عند بوابة المدرج شارداً

- تصدق معرفتكش وأنت هادى كده وعامل فيها عميق..
نظر له عصام بشبه ابتسامة قائلا
- بقولك فكك منى وحياة أمك أنا مش فايقلك
مازحه نوح ضاحكا
- أحكيلي مالك طيب، أنا زي صاحبك بردو
- فاكر البنت الى حكيتلك إني شفتها في المحاضرة اليوم اللي مكنتش انت موجود فيه هموت عليها
- هتموت عليها أزاي لمؤخذة يعنى
- مش عارف بس أنا شكلي كده هحبها
- بتحب مين ياض أنت عبيط.. وأنا اللي بقول عندي صاحب عاقل وكمان هى فين دي أصلاً أنا نفسي أشوفها
- هيّ مبتنزلش كتير الجامعة بس لو تشوفها يا نوح البنت مفيهاش غلطة
- إزاى يعنى
- من كل حاجة شعرها وشكلها وجسمها وأدب وشكلها بنت ناس
ضحك نوح على تلك النظرة التي لمعت في عين عصام عند ذكر جسمها..
رد نوح بسخرية
- وكل ده عرفته من كام مرة شوفتها فيهم
- خليك كده تتريق وخلاص أنا كان نفسي أكلمها أصلا وأفتح مواضيع بس في حاجة موقفاني مع أنك عارف أنى مبتعصاش عليا واحدة بس دي غير أي واحدة
قبل أن يرد نوح وجد عصام يهمس له
- بُص بُص أهي جت أهي على يمينك بس متبوصش بسرعة وتفضحنا
لم يكن ينتهي من جملته حتى كان نوح ينظر باتجاه يمينه ليرى الفتاة والتفت مرة أخري الى عصام مستفسراً وفى عينيه نظرة انتصار
- هى دي الى بتحبها !!!

obeikan.com

- آه
نهض نوح من مكانه متوجها للفتاة وسط دهشة وذعر من عصام التي ازدادت عندما وجد نوح بعد أن سلم على الفتاة يشير له أن يأتي
- يسرا أحب أعرفك على عصام صاحبي وأخويا
أجابت يسرا
- آه أهلا بيتهيألى شوفته قبل كده في المحاضرة
كان عصام يذوب خجلاً فلابد أنها رأته وهو يختلس النظرات باتجاهها..
أجاب بارتباك وابتسامة ساذجة باهته تعلو شفتيه
- آه يتهيألى كده
أنفجر كل من نوح ويسرا في الضحك على منظر عصام الذي كان يبدو كطفل في الخامسة من عمره بلل سرواله أمام جميع أصدقائه
أبتسم عصام لتذكره تلك الأحداث وعاد مرة أخرى للتعامل مع حقيقة أن صديقه يرقد في غرفة العمليات بين الحياة والموت..
لم يستعجب عندما سمع من ياسين عن شرود نوح وتشتته أثناء الحادث وأنه لم يتحرك لمفاداة السيارة كأن الأمر لا يعنيه.. في
داخله كان يعلم أن نوح هو المخطئ لكنه لم يجرؤ على قول ذلك حتى لنفسه كان بداخله سيشعر أنه يتهم نفسه قبل أن يتهم صديقه فهو يشعر أنه مسؤول عما حدث لنوح بطريقة ما..
لم يخرجه عن شروده سوى صوت تلك النغمة المميزة لأغنية لراغب علامة اشهيرة قلبي عشقها التي يضعها على هاتفه خصيصا لخطيبته يسرا..
وأنا كل ما أشتاق إليها بروح وأسأل عليها..

****

كانت السيارة التي تقل والدا نوح وأخته قد وصلت للمشفى ترجلوا من

السيارة مهرولين لمكتب الأستقبال ليجدوا ممرض الأستقبال ذلك الكائن البارد الذي يبدو عليه من هيئته أن اسمه حلمي
- لو سمحت ابني اسمه نوح عمل حادثة من حوالي نص ساعة وجابوه على هنا هو فين
رد حلمي ببرود أو هكذا خُيّل له
- أيوه أبنك دلوقتى في العمليات الدكتور شغال عليه.. حضراتكوا إتفضلوا استريحوا في الاستراحة وأول ما الدكتور يخلص ويخرج هبلغكوا فورا
ردت والدة نوح بهيستيرية ونوع من الصراخ
- لا أنا لازم أشوفه دلوقتى وأطمن عليه
- مش هينفع حضرتك.. هو في أوضة العمليات اهدي واطمني هو هيبقى بخير
تدخل والد نوح ساحبا والدته باتجاه الإستراحة
- متشكرين جدا
- العفو إتطمنوا إن شاء الله هيبقى بخير
انسحبوا جميعا لغرفة الإستراحة ليجدوا عصام ويس هناك وما أن رآهم عصام حتى ذهب اليهم فورا لم تكن منه أو والدتها في حالة تسمح لهم بالكلام أو السؤال على تفاصيل لم يسأل سوى والده
- إيه الى حصل يا عصام
- معرفش والله يا عمى إحنا كنا مع بعض واقفين تحت البيت قبل الحادثة بحوالي عشر دقايق كده وبعدين طلعت أنا وهو قالي انه طالع البيت.. بعد ما طلعت بشوية كده سمعت صوت فرامل جامدة وخبطه ببص لقيت نوح مرمي على الأرض نزلت لقيت أستاذ ياسين اللي قاعد هناك ده ورايا وراكن عربيته جنب البيت عندكم فساعدني وجبنا نوح على هنا.. خير إن شاء الله يا عمى متقلقش
نظر عصام لوالد نوح الذي لم تفارق نظرة الرعب عينيه.. رعب من المجهول

وما يحمله ليرد بطريقة آلية
- ان شاء الله..يارب

****

obeikan.com

-٦-

توجه رشاد لمنزله مذعورا يحاصره القلق كالصياد الذي يحاصر فريسته قبل اصطيادها والفتك بها..

لا يوجد ما يفعله الآن..

انتهى كل شيء..

كان يقبض بكل قوة على دريكسيون السيارة كأنما ستفلت منه وتقتل مرة أخرى.. يشعر بداخله بالصدمة من رد فعله يفكر في ما كان المفترض أن يفعله وهو التوقف فورا لإنقاذ الشاب المصاب أو على الأقل لماذا لم يعود بعد ما تركه فوراً حتى يستطيع أن يشعر أنه عاد لتصحيح خطئه أو ليطمئن أن الشاب تم إنقاذه لماذا وكيف ومتى أصبح بهذا التبلد..

وصل لمنزله سريعا في وسط تلك الشوارع الخالية وتوجه لركن سيارته بجراج البناية محاولاً إخفاء الجانب المهشم من زجاج السيارة.. صعد لمنزله في هدوء ليجد كل من به نيام كان منزله كبيرا نوعا ما لكنه محتفظ بنوع من النظام والذوق الرفيع في كل شيء ومحتفظا بمظهر كلاسيكي يظهر تماما من هيئة أثاث المنزل الذي يبدوا أنه خرج لتوه من فيلم من الخمسينات..

ما كان حقا مختلفا بمنزله هى تلك الرائحة المميزة التي تفوح منه ولا يمكن أن تجدها في أي منزل أخر.. رائحة برقوق مجفف

توجّه لغرفته ليجد سلوى زوجته نائمة.. لم يكن يريد أن يوقظها فلم يكن في

obeikan.com

وضع نفسي يسمح له بالكلام مع أي شخص تحرك في هدوء وحذر بداخل الغرفة ليجد ملابسه معلقة بعناية فوق شماعة الملابس التي تقف متخفية بكل الملابس المعلقة عليها خلف باب حجرته.. توجّه مسرعاً الى سريره دافعا بجسده إليه في صمت لكنه لم يستطع النوم مباشرةً فما أن يغمض له جفن حتى يرى الحادث يتكرر في عقله ألاف المرات حتى سقط في النوم دون أن يدرى قبل أن يستيقظ على طرق متواصل على باب شقته..

طرق يصر على اغتيال أحلامه..

استفاق تماما على صوت سلوى زوجته

- إيه الصوت ده يا رشاد

- مش عارف مين ده

- مش عارفه بس في صوت خبط جامد على الباب

- أنا هقوم أشوف مين.. أن شاء الله خير

****

دائما ما نتخيل مواقف يمكن أن تواجهنا في حياتنا.. نؤمن بأننا نتصرف معها بطريقة ما وأسلوب معين ندرسه عشرات المرات في عقولنا لكن عند مواجهة تلك المواقف في الحقيقة نجد أن رد فعلنا غالباً ما يختلف عما تخيلناه تماماً.. هذا ما حدث مع ياسين الذي وضع خطة مخابراتية محكمة لمراقبة يارا منتظراً لقائها بحبيبها ليبدأ عقله عملية إنتاج وإخراج سيناريوهات مختلفة لرد فعله في هذا الموقف.. واحد من تلك السيناريوهات أنه تخيل نفسه يخرج سلاحه المبري ويقتلهما مكانهما أمام أعين كل الناس، لكن ما أستقر عليه رأيه بالنهاية هو أنه سيذهب اليهما ويفضحهما أمام أعين كل الناس ثم يأخذ ذلك الشخص الذي سلبه خطيبته وحبيبته الى قسم شرطة وهناك كما قالها بصوت عالي لنفسه

obeikan.com

هعمله حفلة استقبال على شرف أمه
جاء أخيراً ذلك اليوم الذي ينتظره من خمسة أيام.. خمسة أيام تنتهك عقله تلك الأفكار وذلك الشك ينهش حياته..
لم يعلم ما هو حقيقة شعوره عندما رآهما معا.. الغضب من تلك الخائنة أم الراحة من ذلك الألم المستمر الذي يسببه له الشك..
فالساعة السابعة والنصف رآها بذلك الفستان الأزرق كما لم يراها من قبل، كانت أجمل من أي مرة رآها فيها كانت تستقل تاكسي وتصعد إليه بخفة..
لم يعلم لماذا لم تأخذ سيارتها لكنه لم يشغل عقله بتلك التفاصيل فقط إنطلق خلف التاكسي في صمت...
هبطت من التاكسي أمام بناية قديمة في أول الزمالك تحرك خلفها ووجدها تدخل مطعم وبار بالدور الأول في تلك البناية ذات الأسانسير القديم والشكل الأثري، لم يكن يستطيع الدخول خلفها فهناك جارد يسد المدخل وهو لا يريد أن يلفت الأنظار..
ليس الآن..
كان متأكد أنها مع حبيبها الآن هبط سريعا وجلس في سيارته لا يعلم ماذا عليه أن يفعل.. هل يذهب اليهما كما خطط أم ينتظر حتى لا يسبب فضيحة فهى بنت عمه أيضاً..
كل الأفكار تتوارد إليه الآن ها هو يقف عاجز لا يعلم ماذا يفعل.. يجلس بدون راحة لم يكن يعرف أن لحظة صنع قرار مصيري يمكن أن تكون بهذه الصعوبة كان يشعر بالخوف كشاب سيبوح بحبه لصديقته التي يخشى أن يخسرها لو لم تكن تحبه
مر عليه أكثر من ثلاث ساعات بداخل السيارة شعر بهم ثلاث سنوات كانت أعصابه قد تحطمت تماما، ثقته بنفسه أصبحت صفر، يشعر بوحدة قاتلة لم يشعر بها من قبل..
لا يعلم لماذا لم يذهب لمواجهتهما وقتها.. لماذا توقف؟ لا يعلم حقا.. هل

خاف أن يعترف أن الاختيار الوحيد الذي إختاره بحياته كان إختيار خاطيء
هل يمكن أن يكون هذا هو السبب؟
رآهما يهبطان أخيراً معاً.. كانت يارا تمسك بذراعه وأوصلته لسيارته وصعدت هى لمقعد السائق وانطلقت فوراً إنطلق ورائها حتى أوصلت نوح لمنزله وأوقفت تاكسي توقع أنها ستتجه لمنزلها.. أكمل مراقبته لنوح ولم يذهب خلفها كان يريد أن يعلم كل شيء عنه..
لم يعلم ماذا أنتظر أن يجد لكنه أنتظر ولم تمر ساعاتان حتى صدمت السيارة الهاربة بنوح وتركته بين الحياة والموت

****

وصل هشام إلى المشفى وتوجه سريعا للاستقبال وغرفة الإستراحة بجانبها ليجد مِنّه ووالديها في حالة يرثى لها..
لا يوجد أحد أهم إلى أي شخص من أبنائه..
ذهب هشام وجلس بجانبهم محاولاً تهدئتهم والتخفيف عنهم في تلك الأزمة
- في أيه يا عمى أيه اللي حصل؟
- معرفش يا هشام يا بني إحنا كنا لسه جايين من بره لقينا عصام بيكلمنا وبيقولنا عربية خبطته
نظر هشام الى مِنّه ووالدتها التي لم تكن أعينهم تتوقف عن البكاء
- طيب إهدوا بس أن شاء الله خير هو الدكتور قالكوا إيه؟
- لسه في العمليات مقلناش حاجه
- طيب خير إن شاء الله
نظر الى مِنّه
- وإنتي يا مِنّه أهدى كده وهدّى ماما، إنتي كده بتوتريهم أكتر
ردت مِنّه وسط بكائها الشديد

obeikan.com

- مش قادرة يا هشام مرعوبة يكون جراله حاجه
- أهدى بس كده أكيد إن شاء الله مجرالوش حاجه
لم تفلح أي من محاولات هشام في تهدئتهم فذهب الى عصام ويس محاولاً ألاستفسار منهم عما حدث
- أزيك يا عصام إيه الى حصل ؟
رد عصام بشكل ألي
- أزيك يا هشام تمام الحمد لله.. انا مش عارف والله نوح كان تحت البيت لوحده وأنا كنت فوق وسمعت صوت فجريت أشوف اللي حصل لقيت عربيه خبطته وجريت.. وأستاذ ياسين كان موجود وساعدني ونقلناه هنا المستشفى هو اللي يعتبر شاف اللي حصل
التفت هشام باتجاه ياسين ووجّه إليه الحديث لأول مرة منذ وصوله
- إحنا مش عارفين نشكرك إزاى يا أستاذ ياسين الحمد لله أنك كنت موجود
- العفو أنا معملتش حاجة أي حد مكاني كان هيعمل كده
- لا طبعا أزاي كتر خيرك.. طيب أنت مشفتش شكل العربية، لونها أو رقمها أي معلومة عنها نقدر نقدمها في البلاغ
صمت ياسين لحظات محاولاً استرجاع معالم السيارة في عقله
- هو كان ماشى بسرعة والدنيا مش منورة أوى مقدرتش أشوف رقمها بس هيا عربية لانسر فضي والمراية اليمين بتاعتها مكسورة ده كل الى أقدر أساعدكم بيه
- تمام إحنا متشكرين جداً ليك وتعبناك معانا أتفضل أنت روّح وأرتاح
- لا عادى مفيش مشكلة أنا حابب أطمن عليه
أبتسم هشام له ابتسامة مجاملة ولم يجبه
لم يكن يستطيع ياسين الذهاب لمنزله قبل أن يعرف ما سيحدث لنوح.. لا يعلم ما الخبر الذي ينتظر سماعه تمر بداخله جميع المشاعر مختلطه الآن هل هو ينتظر خبر موته أم أنه يخشى عليه أن يموت؟ هل بموته يارا ستصبح

له ولن ينافسه فيها أحد أم أن ذكراه ستبقى بداخلها تمزقها للأبد؟
كان يعلم أيضاً أن جميع المتواجدين لابد أنهم يشكون فيه الآن ويتسألون عن سر تواجده في ذلك التوقيت في هذا المكان وحده يشعر بعيونهم تتفحصه وتخترقه كأشعة الشمس التي تخترق الزجاج..
لم يكن يستطيع تفسير سر وجوده لأي شخص فلا يوجد شيء يقال، هل يقول لهم أن خطيبته كانت تخونه مع نوح وأنه كان يراقبهم منذ ست ساعات وإتصل به وهدده قبل الحادث بنصف ساعة، هل يُعقل أن يقول ذلك؟
نفض سريعاً تلك الفكرة البلهاء عن عقله ونظر الى ساعته ليجدها تقترب من السادسة صباحا
****

توجه رشاد متثائباً بملابس النوم ليفتح باب الشقة ليواجه في لحظة كل مخاوفه دفعة واحدة تتجسد أمامه في هيئة ظابط شرطة يحمل رتبة رائد محاط بثلاثة جنود يبدو عليهم الاستعداد التام لضربه واستخدام جميع وسائل العنف تجاهه إذا ما عارضهم في أي شيء..
صعق رشاد عندما رآهم لكنه كان يعلم سبب وجودهم لابد أن أحد ما رأى سيارته أثناء الحادث وأبلغ عنه..
حاول تصنع الهدوء ليبدو متماسكا فهو لا يمكن أن ينهار الآن فانهياره يعنى نهايته
- حضرتك أستاذ رشاد
- أيوه يا فندم خير
- طيب أتفضل معانا
-طيب ممكن حضرتك تقولي بسبب إيه يا فندم
- حضرتك خبطت شاب بعربيتك والشاب مات وفى شهود شافوك وأنت بتخبطه وبتهرب

شعر رشاد بالدماء تنسحب دفعة واحدة من جسده وروحه تنزلق الى أقدامه
- محصلش الكلام ده يا فندم
- أستاذ رشاد مش عايزين نعمل شوشرة أتفضل معانا وفى القسم قول الى أنت عايزه
في تلك اللحظات لم يستطع رشاد تمالك نفسه أكثر من ذلك وبدأ في الانهيار والبكاء
- أنا خبطته غصب عنى هو الى كان واقف فنص الشارع مكنش قصدي والله أنا..
وقبل أن يكمل كلامه توجه إليه إثنان من الجنود المحاولين جرّه معهم وهو يقاوم..

****

openkan.com

obeikan.com

-٧ -

كانت يارا مازالت مستيقظة ومستغرقة في زكرياتها لم تلاحظ مرور الوقت حتى دقت الساعة القديمة الموجودة بصالون منزلهم ذات البندول الضخم المتدلى منها ست دقات متتالية معلنة وصول الساعة السادسة صباحاً
أفاقت في ذهول على ذلك الصوت فهى لم تكن تعرف أن مرّ عليها أكثر من أربع ساعات وهى قابعة بمكانها على سريرها لم تتحرك قط..
فقط جالسة بلا حراك تتذكر أخر أحداث مرّت بها.. هى تريد أن تتذكر فهى تعرف بداخلها جيداً أنه لابد لها من اتخاذ قرار سريع.. ياسين لا ذنب له فيما تفعل وهي لا يمكن أن تظلمه معها
إما أن تكون خالصة ومخلصة له أو لا تكون..
لهذا كان عليها أن تذهب مع تيار الذكريات مرة أخرى بإرادتها حتى تستطيع أن تصل لقرارها النهائي
أغمضت عينيها لثانيتين وتذكرت..

تقدم لخطبتها ابن عمها ياسين ضابط الشرطة الصغير، وسيم الى حد ما متميز في عمله ويحبها تلك كانت كل المعلومات التي تعرفها عنه، لم تكن تراه كثيرا ولا يوجد احتكاك بينهم لكي تعرفه ورغم ذلك رفضته دون إبداء أي أسباب فهى لا تريد أن تتزوج سوى نوح.. هذا هو الشخص الوحيد الذي

تتخيل حياتها معه..
نوح هو أحلامها ومستقبلها وطموحها بل هو حياتها بحد ذاتها..
لم تجد سببا واحدا تقنع به والديها لرفضها شخص مثل ياسين.. قاطعها أبيها لفترة كانت تعانى فيها من صراع نفسي شديد تبكى كل يوم عشرات المرات حتى تحمّر عينيها.. تهاتف نوح يومياً كلما بكت تريد أن تستنجد به تريده أن ينقذها من ذلك الألم النفسي كانت كالغريق الذي يريد أن يتعلق بقشة لكن تلك القشة لم تكن تستطيع إنقاذ نفسها فكيف لها أن تنقذها ولم يكن نوح يفعل شيئا سوى الصمت..
هى أيضاً لم تكن تستطيع أن تصارح والديها بوجود نوح في حياتها لأنها لا تريد تقديمه لهم وهو في تلك الأوضاع المزرية شاب فاشل لم يتخرج ويعتمد على العمل في شركة والده لا يملك مستقبلا يخصه أو أي نجاح له يستطيع أن يقوى موقفها
لكنها أيضاً لا تستطيع التخلي عنه..
كانت تفكر في ياسين وتحاول أن تتخيل حياتها معه هكذا قال لها نوح قبل أن يرتبط بها طلب منها أن تتخيل حياتها معه وتخبره ماذا ترى وهى كانت تحاول تطبيق نفس نظريته على حياتها مع ياسين تلك النظرية التي عرفت فيما بعد أنه أقتبسها من الفيلم الرومانسي The Notebook
كيف ستترك نوح وتمضى قدماً؟
هل يعقل أن تترك روحها؟
أي حياة تلك التي يحياها الأشخاص متخلين فيها عن أرواحهم، تاركين مستقبلهم تتلاعب به الأقدار كيف ما تشاء، قاتلين أحلامهم بكل دم بارد، دافنين مشاعرهم في روتين حياتهم..
كيف لك أن تعيش وأنت ميت؟
كانت تشعر بغضب شديد تجاه نوح..
كيف يمكن أن يكون بتلك اللامبالاة والبرود؟ لماذا هو بتلك الأنانية؟.. يريدها

أن تتمسك به وهو لا يتقدم خطوة واحدة باتجاهها ألا يعلم ما تمر به من أزمات حتى تكون بجانبه؟

الآن كانت الحجج قد نفذت منها ولم تعد تملك المزيد من الأعذار.. لم تعد تستطع الرفض تلك المرة تحت إلحاح والدتها ومقاطعة والدها وهى لم تكن تملك أي أسباب مقنعه للرفض..

وافقت..

لم يمر أسبوعان وأعلنت خطوبتهما..

هاتفت نوح بعد أن تمت الخطوبة بيوم كانت تشعر أنها تختنق كانت تبكى وهى تروى له ما حدث كانت تلومه على فشل العلاقة تتهمه أنه السبب في انفصالهما وابتعادهما عن بعضهم البعض؟ ما آلمها أكثر من أي شيء هو صمت نوح كان يتصرف معها كشخص أصيب برصاصة أخرسته عن الحياه.. تعلم أن الصمت هى طريقته في تقبل كل شيء سواء أخبار مفرحة أو مفزعة لا يعطى أبدا إجابة قاطعة واضحة لا تستطيع أن تنظر له وتستشف مشاعره تجاه أي أمر ملامح وجهه وصوته كانت جامدة كالصخر لا تتأثر هكذا كان هو..

كانت تشعر بقلبه يتمزق بداخل صدره مثل ما يتمزق قلبها لكنه فقط لا ينطق ولم ينطق طوال المكالمة التي استمرت أكثر من عشرون دقيقة لم ينطق حتى هدأت تماماً ثم ألقى إليها بطلبه الأخير أنه يريد أن يلتقي بها مرة أخيرة ولن يطلب منها شيئا أخر بعدها ولم تكن تستطيع الرفض

****

- رشاد رشاد إصحى

أستيقظ رشاد فزعا ليجد نفسه في غرفته على سريره يتصبب عرقا وسلوى بجانبه تبدو عليها أثار القلق والخوف

- مالك في إيه؟
- في إيه، إيه اللي حصل؟
- أنت كنت عمال بتصرخ وتقول مكنش قصدي وكلام كده وأنا صحيت على صوتك..خير اللهم أجعله خير
- لا ابداً ده شكله كان كابوس متشغليش بالك أنتي أنا بس تعبان شوية خشي نامي وأنا هقوم أشرب وأجي أنام تصبحي على خير
- متأكد إنك كويس؟
- أه إطمني أنا بقيت كويس خلاص
- طيب وأنت من أهله

نهض متثاقلاً يجر أقدامه جراً للصالون واتجه لأقرب مقعد وألقى بثقل جسده بالكامل عليه.. كان يرتجف لا يستطيع النوم بعد ذلك الكابوس والتي مازالت مشاهد منه تطارده..

يحتاج لبضع لحظات من الاسترخاء ليفكر كيف سيخرج من هذا المأزق أو على الأقل متى سينتهي هذا الكابوس المزعج..

كيف في لحظات أنقلبت حياته رأساً على عقب؟

كيف تحول في ليلة من رجل لا يشغله شيء إلى قاتل مطارد في أحلامه؟

أشعل سيجارة محاولة لبث بعض الهدوء الى نفسه أو لعل دخان السيجارة يغطى على صخب أفكاره ويغيم عليها بسحابة من النيكوتين تحجب عنه التفكير للحظات

****

أنتقت ذلك الفستان الأزرق وكل قطعة من ملابسها بعناية فائقة فهى تعلم أنه لم يراها من قبل في تلك الملابس وهى تريده أن يراها كما لم يفعل من قبل..

قررت الا تأخذ سيارتها فهى لم تكن في وضع نفسي يسمح لها بالقيادة وتوجهت للمطعم للقائه وما أن رأته بانتظارها بداخل المطعم حتى أحست بانقباض في قلبها، انقباض لا تعرف له سبب أو معنى واضح.. رأته بملابسه العادية وشعره الطويل المبعثر الذي يرفض حلاقته متلازمة مع ذقنه غير الحليقة

لكنها رأت في عينيه تلك النظرة التي لا تفارقه عندما يراها

نظرة عشق تأسر روحها..

جلست أمامه طوال ثلاث ساعات لم يتحدث فيهم كثيراً بل أكتفى بأن يجعلها تتذكر كل ما دار بينهما من أحداث..

كان يحاول أن يفتح أبواب تحاول إغلاقها وصفحات تحاول أن تطويها من حياتها..

كان يشرب كثيراً بطريقة جنونية كأنه يريد أن يغرق في تلك الخمر لا أن يشربها وهى كانت تعلم أن يشرب قليلاً لكنها أول مرة تراه في تلك الحالة ويشرب بهذا القدر، كان لابد أن توقفه في تلك اللحظات

- كفاية شرب يا نوح

نظر إليها بمرارة ويحمل على شفتيه ابتسامة سخرية

- ليه؟

- يعنى إيه ليه؟ أنا مش هقولك علشان غلط وحرام وصحتك بس على الأقل إحترمني شوية إحنا نازلين نتكلم مش نازلين علشان حضرتك تشرب

- والشرب ماله ومال إحترامي ليكي.. شربي ده يخصني لوحدي

- أنا كنت فاكره أن كل حاجة تخصنا سوا بس الظاهر كنت غلطانة..

نوح أنت عايز إيه بالظبط؟ طلبت مني ننزل ليه؟

نظر لكأس الخمر الذي يسكن في كفيه ورفعه الى فمه وتجرعه على جرعة واحدة

- يارا أنا بحبك وعارف أنى خذلتك كتير وعارف أنك إستحملتي اللي محدش

يقدر يستحمله بس أنا مقدرش أسيبك تضيعي مني.. أن عايزك تديني فرصة أخيرة

- نوح الكلام ده وقته فات أنا

- عارف إنك مخطوبة دلوقتي وأنا اتأخرت كتير بس بترجاكي تديني فرصة أخيرة

لم تستطع النطق هذه المرة بل تفجرت دموع مكتومة من عينيها

- نوح أن لازم أمشى دلوقتى يلا نروّح لو سمحت

طلب الحساب وتحركا ناحية سيارته

- إديني المفاتيح أنا هسوق

لم يعترض بل ناولها المفتاح في صمت وأستمر ذلك الصمت حتى أوصلته لمنزله وتركته لتعود لمنزلها بتاكسي

- هبقى أكلمك

- وأنا مستني

****

الساعة الآن السادسة والنصف ويارا لم تكن تستطع النوم لسبب ما لا تعرفه.. شيء ما يؤرقها..

إحساس مبهم يخبرها أن هناك شيء غير صحيح.. كانت تريد التحدث لنوح مرة أخرى كانت بداخلها وفى قرارة نفسها تعلم أنها لن تكون المرة الأخيرة حتى لو تظاهرت في محاولة بائسة بعكس ذلك.. فهى من تركت سلسلة مفاتيحها عمدا في سيارته وهى توصله لمنزله حتى تستطيع رؤيته مرة أخرى رغم أن استمرار علاقتها بنوح وإحساسها بخيانتها ل ياسين كان شعورا قاتلا بالنسبة لها لكن هكذا هو الحب..

فما أن تحب حتى تفقد زمام أمورك ولا تستطيع السيطرة على عقلك فالحب

obeikan.com

كالمخدر كأي نوع أخر من المخدرات صعب الإقلاع عنه وإدمان شخص لشخص أخر من أقوى أنواع الإدمان..

كلنا نبحث عن الحب لكن لا يناله في هذه الدنيا سوى المحظوظين.. خطبتها لياسين كان الأمر الخارجي الذي يجبرها على الإقلاع عن ذلك الإدمان، كان لابد لها أن تحارب قلبها وتطئه بقدميها لكي تستطيع أن تعيش في هذا الوضع الجديد، كان لابد لها أن تتأقلم..

لكنها لم تستطيع ولن تستطيع أن تحارب حبها لنوح وهى تؤمن بذلك في داخلها.. كانت دائما تستمع لكلام صديقاتها بأن الحب ينتهي ويموت مع مرور الوقت لم تكن تعلم أن هناك حب قدر له ألا ينتهي أبداً..

الآن فقط إتخذت قرارها النهائي في لن تخدع ياسين أو تظلمه معها أكثر من ذلك ولن تنصاع لرغبات والديها فهذه حياتها هى وهى فقط من سيعيشها وهى فقط من سيتخذ القرار وتتحمل مسؤوليته، سوف تختار نوح وتنتظره غداً ستخبر ياسين وأهلها بقرارها لكنها لن تنتظر للغد لتخبر نوح ستخبره الآن فهى تشعر بسعادة لن تمكنها من الانتظار..

لابد أن يعرف أنها اختارته وأنها لن تتركه.. يكفيهما ما عانياه الى الآن.. لن تتركه يعانى أكثر من ذلك أمسكت يارا بتليفونها المحمول وبدأت بطلب رقم نوح

****

لم يكسر ذلك الصمت المميت المخيم على استراحة المشفى بكل من فيها سوى صوت رنين هاتف بموسيقى ترانس..

لم ينبعث ذلك الصوت من هاتف أحد الحاضرين بل كان هاتف نوح هو صاحب هذا الصوت كان عصام لا يزال يحمل تليفون نوح مع محفظته ومفاتيحه نظر الى المحمول بشكل تلقائي ورأى أسم يارا يظهر على الشاشة..

لم يكن يريد أن يرد عليها فذهب الى مِنّه التي كانت قد هدأت نسبيا الآن ليعطيها الهاتف لحظات وردت

- الو

- الو..لو سمحت هو ده مش رقم نوح

- أيوه أنا أخته

- أنا يارا صاحبته ممكن أكلمه

- يارا نوح خبطته عربية وهو فالعمليات دلوقتى

- إيه !! إمتى حصل الكلام ده

- من حوالي تلات أو أربع ساعات

- طيب إنتوا في مستشفى إيه

- مستشفى الندا

- طيب شكرا

- العفو مع السلامة

بعد سماع تلك الأخبار كانت يارا قد إنقلب حالها تماما..

بعد أن كانت فرحه بالقرار الذي اتخذته فرحة عروس في ليل زفافها أنقلبت حياتها فجأة لمأتم كان جسدها متخشب وبارد كالجثة الهامدة، لم تستطع النطق أو التفكير فقط كانت الدموع تنساب من عينيها.. لم تكن هناك أي كلمات تصف الفاجعة ومدى الصدمة والألم الذي أصابها، كان يعتصرها الندم والإحساس بالذنب تلك المكالمة حقا أصابتها بزلزال شديد بقوة مائة ريختر جعلتها لا تشعر بأي شيء ولا ترى أي شيء أمامها سوى بريق دموعها يتلألأ على شاشة الموبايل الذي مازالت تحمله بيدها..

كانت تشعر بالمسؤولية تجاه نوح وتلك الحادثة هى المتسببة في ما حدث له.. هى من طلبت منه النزول لسيارته ليبحث لها عن مفاتيحها التي تركتها في سيارته عن عمد كانت فقط تريد أن تترك سبب يجعله تراه مرة أخرى.. لابد أن السيارة صدمته في ذلك الوقت لو لم تكن طلبت منه ذلك لما حدث

obeikan.com

ما حدث، ما لم تكن تعرفه يارا هو أنه نزل بالفعل وأحضر مفاتيحها في المرة الأولى ونزوله المرة الثانية كان لمقابلة عصام وأن مكالمة ياسين هى سبب تشتته..

لم تعلم كم مر عليها من الوقت قبل أن تفيق من تلك الصدمة وقررت فوراً أن تذهب لنوح المشفى لن تستطيع الانتظار أكثر من ذلك لابد أن تطمئن عليه بنفسها فورا..

نظرت الى ساعتها كانت الساعة تقترب من السابعة صباحا وموعد نزولها اليومي للعمل هو الثامنة صباحا لن يعارض والديها أو يتسألا عن سبب نزولها ساعة مبكراً

****

obeikan.com

obeikan.com

- ٨ -

لم يمر سوى عشر دقائق بعد اتصال يارا حتى ظهر أخيراً في غرفة الاستراحة الدكتور فتحي طبيب الجراحة المناوب بالمشفى لينهى خمس ساعات تقريباً من الانتظار وتحطيم الأعصاب..

لم تنتظر والدة نوح أن يبدأ الدكتور بالشرح أو الكلام بل اندفعت فوراً وأمطرته بأسئلتها

- دكتور نوح عامل إيه دلوقتى ؟.. طمّني لو سمحت

- تمام الحمد الله إطمنوا خالص نوح بخير

- يعنى إيه الى جراله ؟

- أبداً ارتجاج بسيط فالمخ وكسر في ضلع وإيده أتكسرت وكان عنده نزيف بسيط وعلشان كده اضطرينا ناخده على العمليات ووقفنا النزيف

لم تكد والدة نوح تسمع بما جرى لإبنها حتى إنهارت وبدأت وصلة بكاء عنيفة

- والله حضرتك اطمني خالص ان شاء الله هيبقى كويس

تدخل والده في الحوار مقاطعاً

- طيب ممكن ندخل نطمن عليه

- هو لسه مفاقش ممكن تدخلوا خمس دقايق تطمنوا بسرعة وياريت بعد كده تسيبوه يرتاح

obeikan.com

- متشكرين جدا يا دكتور
- العفو
توجه الجميع ما عدا ياسين لغرفة نوح ليطمئنوا عليه وما أن وطئت أقدامهم أرض الغرفة وتوجهت أعينهم لنوح الراقد بلا حراك يلفه الشاش والجبس الذي لم يكن يظهر منه سوى جزء من وجهه.. لا يوجد به دليل على أي أثر للحياه سوى أجهزة المستشفى التي تصدر أصواتاً بسيطة لتقول عكس ذلك لتثبت أن هذا الشخص حي

****

نزلت يارا مسرعة الى الشارع ولم يكن والداها قد أستيقظا بعد.. لم تأخذ سيارتها فالقيادة في الأحوال العادية تسبب لها توتر وقطعاً لا تستطيع القيادة الآن في ظل ذلك الضغط النفسي الذي تعانيه..
ركبت التاكسي في سرعة متوجهة للمستشفى ووجهها شاحب كالموتى.. كان القلق يعصف بكل كيانها وكانت تلقى باللوم على نفسها وتتساءل كيف يمكن أن يحدث لها ولنوح هذا؟ ولماذا الآن وهى على وشك أن تخبره بقرارها بالاستمرار معه؟ ولماذا يأبى القدر سوي أن يفرقهما ما الذنب الذي اقترفته لتستحق كل هذا الألم وهذه المعاناة ؟
لم تكن بحاجة لإجابات فعلية بقدر حاجتها للإنتحاب في صمت كانت يداخلها شعور منذ أن وافقت أن تلتقيه أن شيئا سيئا سيحدث، لعله عقاب لها لما فعلته ب ياسين..
دائما ما يتكرر نفس السيناريو كأنه قانون للحياة أنها لا تعطيك سعادة مكتملة ابداً لابد أن تأخذ شيئا ما بالمقابل تعطيك بيد وتصفعك بالأخرى..
تتذكر الآن أخر مكالمة بينهم ليلة الحادث عندما طلبت منه أن يبحث لها عن مفاتيحها في سيارته تتذكر بوضوح تلك الجملة التي قالها نوح في نهاية

المكالمة «أحب أعيش سعيد علشان لو مت في أي وقت مندمش على أي لحظة معشتهاش» كيف لم تنتبه لتلك الجملة سوى الآن؟ «

في ذلك الوقت قاطعها صوت سائق التاكسي

- وصلنا يا أستاذة

نظرت حولها كانت قد وصلت للمستشفى نزلت من التاكسي وأخرجت خمسون جنيها وأعطتها ولم تلفت له

- يا أستاذة الباقي يا أستاذة

لم تتعمد تجاهله ولكنها لم تسمعه حقا.. دخلت مرتجفة ومسرعة للأستقبال تسأل عن غرفة نوح

- لو سمحت أوضة نوح منير رقم كام ؟

- أوضة رقم ١٣ الدور الأول أخر أوضة عالشمال.. بس الدكتور مانع عنه الزيارة

- أنا خطيبته ولازم أطمن عليه

- طيب أتفضلي بس ياريت مطوليش

- شكراً

- العفو

- يارا

لم تخطو خطوة أخرى بعد أن سمعت أسمها.. ميّزت فورا صاحب الصوت وهو أخر شخص توقعت وجوده في هذا المكان في هذا الوقت..

****

لم يكن صاحب الصوت سوى ياسين الذي كان يجلس وحده في غرفة الاستراحة.. أحست يارا بأن عقلها توقف فجأة عن العمل المفاجأة كانت أكبر من أن تستطيع استيعابها..

obeikan.com

نظرت إليه لتتأكد أنه صاحب الصوت في محاولة أخيرة لتكذيب كل ما يحدث حولها رأته جالس فتسمّرت في مكانها كتمثال من الشمع ولسانها لا يستطيع النطق كأن به عقدة تحرك ياسين في اتجاهها

- قبل ما تدخليله عايز أتكلم معاكي شوية تعالى نقعد في الاستراحة نتكلم

لم تتكلم بل تحركت ورائه نحو الاستراحة كمنومة مغناطيسيا وبدأ ياسين بالكلام

- أنا مش هضيع وقتك ووقتي أنا عارف كل حاجة وشوفتكوا وأنتوا مع بعض، ومشيت وراكوا طبعاً كنت مصدوم منك وغضبان منك ومنه كان نفسي أقوم وأروحلكوا وأتصرف معاه بطريقتي بس أنا معملتش كده.. كنت راكن تحت بيته لما وصلتيه والمصادفة الغريبة أن الشخص اللي أتمنيت موته تخبطه عربية وتهرب في وقت مفيش فيه حد ينقذه غيري، بس أنا طلعت أحسن منه..

لما شفته كمنش قدامي وقت كتير للتفكير وكان لازم أخد قرار سريع أنقذ حياته أو أسيبه لمصيره أنا عن نفسي شايف أنه يستحق الموت والمفروض كنت سبته بس للأسف مقدرتش أقف ساكت أو أنى أحس أنى مسؤول عن موت حد حتى لو لو الشخص ده كنت بكرهه..

أنا مش هطلب منك أي تفسير أو تبرير للي حصل وبرضه مش جاي أوجعلك ضميرك أو أحسسك أنك مذنبة أنا هعتبر كل اللي عملتيه غلطة وتفوت.. أنا كل الى عايزه منك أنك تاخدي قرار دلوقتى تكملي معاه أو معايا..

أنا بحبك وعايزك بس مش هقدر أجبرك تكوني معايا

لم تكن بحاجة للتفكير فهى أتخذت قرارها بالفعل لكنها لم تخبره بعد كما أنها هى أيضاً لم تلاحظ عدم وجود دبلة الخطوبة في يده.. كان قد خلعها من أصبعه قبل أن تأتى.. كان يتوقع قرارها قبل أن تقوله لكنه فضل التمسك بها وأن يعطيها فرصة أخيرة لإختياره

صمتت دقيقتان كانت تحاول أستيعاب كل ما يحدث حولها وبداخلها كل

المتناقضات بخصوص ياسين..
هل تحبه لأنه أنقذ نوح أم تمقته لأنه يريدها أن تتركه؟
هل تغضب منه لأنه كان يراقبها أم لا تغضب لأنه لم يسبب لها مشاكل أو فضائح؟
كل تلك الأفكار كانت تدور برأسها الصغير وهو جالس أمامها ينتظر إجابة فورية لطلبه إجابة لن تستطيع التهرب منها
- ياسين أنا عارفة أني غلطت في حقك وأنا أسفة على ده وعارفة كمان أنك شخص كويس جداً وصعب ألاقى حد زيك تاني ولو كان الاختيار بإيدي أنا كنت أخترتك أنت بس..
«بس» تلك الكلمة الخطيرة المحشورة بين حرفين أصغر من أن يحتوياها ويحتويا معناها الكبير.. تلك الكلمة التي تقلب كل الموازين رأساً على عقب بس الإنسان ميقدرش يتحكم في قلبه أو يحب اللي على مزاجه أنا أسفه مرة تانية على كل حاجة
- أنتي مش محتاجة تعتذري كل شيء نصيب وربنا يسعدك
مدت يدها أمامه وخلعت دبلتها من أصبعها وأعطتها له قبل أن يغادر
- أنا مستحقش دي تكون في أيدي
تناول منها الدبلة مبتسما بمرارة ونهض تاركاً المشفى وتاركاً ورائه قلبه المحطم وأحلامه مع يارا التي أحترقت بداخله..
لا يدرى ماذا عليه أن يفعل هل يثور ويغضب في المكان ويضرب تلك الخائنة أم يذهب الى أبيها ويفضحها.. كيف يعاقبها ؟ عقله يحترق من التفكير والغيظ مثلما يحترق قلبه هاهو للمرة الثانية يظهر بمظهر الساذج عندما أعتقد أنها سوف تترك نوح وتذهب معه عندما تعلم أن هو من أنقذه لكنها فقط لا تهتم به أو بما يفعل لا ترى أمامها سوى هذا التافه نوح

****

جلست يارا لدقائق وحدها بغرفة الاستراحة غير مصدقة لما حدث تحاول أستيعاب تصرفات وكلام ياسين.. تشعر بالذنب تجاهه فهو لا يستحق ما حدث له وغير كل ذلك هو من أنقذ نوح من الموت وأنقذها معه

نهضت يارا متجهه لغرفة نوح تسبقها الممرضة الذي ذهبت لتطلب من الجميع مغادرة الغرفة وبالفعل غادر الجميع الغرفة في حين دخلت يارا بعد أن أستأذنت الممرضة في البقاء لدقيقتين لتطمئن عليه.. دخلت الغرفة لتجده مغلفا بالشاش، لم تستطع أن تصمد أمام ذلك المنظر الذي أختلع قلبها لتتساقط الدموع من عينيها بلا أنقطاع..

تحركت في هدوء ووقفت بجانبه ممسكة بيده بين بيديها تبكى في صمت وتدعو له أن ينجو من ذلك الحادث سليماً ومعاف..

نظرت له نظرة مطولة مليئة بالحب واللوم مثل الأم التي يتوه أبنها منها وعندما تجده توبخه وتضربه وتحتضنه في الوقت ذاته، تلك المشاعر وذلك الحب الذي يستطيع أن يصنع المعجزات..

قبلت يده وجبينه قبلة طويلة قبل أن تتركه ليرتاح وتخرج في صمت

****

كانت الساعة قد قاربت على الثامنة والنصف صباحاً وقرر الجميع التوجه لمنازلهم بعد تلك الليلة الشاقة..

بحث والد نوح عن ياسين ليشكره لكنه لم يجده سأل الممرضة عنه وأخبرته أنه ذهب قبلهم بقليل

ذهب هشام للتحدث مع أبيه بعد أن أطمئن على مِنّه

- الو ايوه يا بابا صباح الخير

- أزيك يا هشام صباح النور

- بابا أنا جنبك في المنيل وكنت عايز اعدي عليك قبل ما تروح الشغل أخد

obeikan.com

منك الفلوس
- طيب ماشى عدى عليا أنا في البيت بس أنت بتعمل أيه الصبح كده في المنيل ؟
- أخو مِنّه خبطته عربية امبارح بالليل وكنت معاها فالمستشفى
صمت رشاد لبرهة ولم يجب
- الو، بابا انت معايا
- ايوه يا هشام معاك طب معرفتوش مين الى خبطته
- لا واحد صاحبه وواحد تاني كانوا موجودين هناك خدوه على المستشفى
- طيب وهو عامل أيه دلوقتى ؟
- يعنى الحمد لله طلع من العمليات و حالته لسه مش مستقره
- طيب وصاحبه والولد التاني مقالوش إذا كانوا شافوا اللي خبطه ولا لا أو شافو عربيته أو أي حاجه ؟
- لا مشافوش أي حاجه وكمان أنت ليه مهتم أوى باللي خبطه أكتر من أهتمامك بيه
توتر رشاد وصعق من تلك المبادرة التي لم يتوقعها في ذلك الوقت
- أيه !!! لا طبعا عادى أنا بس بطمن عليه
- أه ما أنا خدت بالي، عموما متقلقش اللي عمل كده أكيد هيتجاب
- أه طبعا إن شاء الله وعموماً الحمد لله أنه بخير، وأنت تعالى أنا مستنيك
- طيب أنا جاي، مع السلامة
- مع السلامة

****

obeikan.com

- ٩ -

انتهى رشاد من التحدث مع هشام ووضع التليفون جانباً في صمت.. لم يكن بحاجة للتأكد من حجم الكارثة التي سقطت على كاهله تلك الصخرة الكبيرة التي سقطت عليه لتقصم ظهره، تلك المكالمة جلبت له مزيج من الأخبار السعيدة والتعيسة في نفس الوقت خليط عجيب ما بين الراحة والإكتئاب والخوف..

يشعر بالسعادة أن الشاب على قيد الحياه ونجا من الموت وتم إنقاذه وفى نفس الوقت يشعر بالإحباط والتعاسة، يمزقه الإحساس بالذنب لأن الشاب الذي تركه للموت هو أخ زوجة ابنه ماذا لو تعرّف نوح عليه أو رأه الشاب الذي أنقذه كيف سيبرر موقفه أمام ابنه؟

كان يخشى في البداية أن يسئل قانونيا ويسجن ويرتعب الآن أن يسئل ضميريا أمام ابنه ماذا سيقول له لو أنكشف الأمر وكيف سيجيبه ويبرر له أنه ترك شخص للموت؟

لأول مرة يشعر بضعف موقفه وقدره القليل وقلة حيلته دائماً ما كان يجد حل سريع لأي مشكله غالبا ما كانت حلوله هى الهروب من المشكلة بطريقة أو بأخرى ولكن تلك المرة مختلفة تماما، لا يستطيع الهروب هذه المرة لا يوجد مخرج واحد له من تلك الأزمة.. لا يوجد أمامه الآن سوى أن يتصرف ويتعامل بطريقة طبيعيه حتى لا يشعر أحد بأي شيء، ولابد أن

obeikan.com

يصلح اليوم مقدمة سيارته التي انبعجت نسبيا والزجاج الذي أصابه شرخ أثناء الحادث.. ولعل نوح لا يتعرف عليه وينتهي هذا الموضوع دون إجابة ويقيد ضد مجهول..

هدأ نسبيا الآن بعد أن تفتق ذهنه عن تلك الاستنتاجات وطمأنه أكثر صعوبة أن يتعرف عليه نوح وأن الطريق كان خاليا ولا يوجد من أحد سوى صديقه والشاب الأخر رأيا ما حدث في تلك الليلة المشؤمة وهم أيضا لن يستطيعا التعرف عليه.. أما ضميره فهو كفيل بمراضاته، فهو لم يكن يعبأ به كثيرا بأي حال من الأحوال كان كل ما يعبئ به هو نفسه، يفكر فقط في رشاد ولا يفكر في غيره مطلقاً

****

كان الطريق من المشفى لبيت رشاد قصيرا وشبه خالي إلا من بعض السيارات التي يتوجه أصحابها لأعمالهم ومصالحهم..

على الرغم من ذلك كان هشام يقود السيارة في بطئ متعمد لمنزل أبيه، كان يعطى نفسه فرصة ومساحة كافية للتفكير ولتفنيد كل ما سمع من ياسين عن السيارة وصاحبها..

فالسيارة كما وصفها ياسين لانسر فضي ومراية السيارة اليمين مكسورة وتلك الأوصاف مطابقة تماماً لسيارة والده كما أن الحادث وقع في المنيل وهو نفس طريق عودة والده

- انت يا عم الحمار ما تفوق

كان ذلك صوت أحد السائقين الذي كاد هشام أن يصطدم به، أفاق هشام من أفكاره على هذا الصوت وتلك الأهانة التي لم يلقى لها بالاً، وفى ذلك الوقت كان قد وصل لمنزل والده.. وقبل أن يصعد لشقته جلس في السيارة يفكر فيما سيقول لوالده فهو لم يكن بحاجة لأي شيء أخر ليتأكد أن والده

obeikan.com

هو الفاعل هو نفس الشخص الذي صدم نوح وفر هارباً تاركا إياه للموت كل الدلائل تنطبق على سيارة والده لا يمكن أن يكون كل ذلك مصادفة بالإضافة أيضاً الى صوته المتعب القلق في التليفون وإصراره أن يعرف أي معلومة عن الشخص الذي صدم نوح كل ذلك كان كفيل ليأكد لهشام صدق ظنه وشكوكه..

ليقطع الشك باليقين توجه هشام للجراج حيث يركن والده سيارته وتوجه للصف الأخير ليجدها قابعة كأنها تحاول أن تختبئ من شيء ما.. وجد عند السيارة الإجابة التي يبحث عنها، زجاج السيارة الأمامي مكسور كما لاحظ انبعاج السيارة قليلاً من الأمام كانت تلك الإثباتات هى الضربة القاضية لهشام، أصبح كمن لدغه ثعبان يعلم أن هناك سم بداخله ولا يعلم كيف يتخلص منه، لم يكن يدرى ماذا سيفعل أو كيف سيواجه الموقف..

خرج في صمت من الجراج تلاحقه صورة السيارة، قرر ألا يصعد له فهو الآن لا يستطيع التفكير، عقله توقف تماما عن العمل ولم يكن يستطيع أن يتفادى أن يصدر منه رد فعل يمكن أن يندم عليه لاحقا، فرجع الي سيارته مرة أخرى متجها لمنزله متجاهلا تليفونات والده تماماً

****

استفاق نوح وبدأ يفتح عينيه ببطء محاولا أن يفهم أين هو ويستوعب تفاصيل المشهد من حوله، وجد مِنّه تجلس على كرسي صغير بأخر الغرفة تمسك بهاتفها المحمول على الأرجح تراسل هشام وأبويه جالسان بجانبه والدته تقرأ في مصحف بعض الآيات من الوِرد الحكيم.. لم ينتبه أي منهم أنه استفاق حتى جاهد ليتحدث اليهم قائلا

- إنتوا على الحال ده بقالكوا كتير

أستغرق الأمر منهم دقيقة لإستيعاب ما يحدث، إستعدت فيها والدته أن

تنقض عليه لتغرقه بأحضان وقبلات قبل أن يستوقفها والده ضاحكاً
- أنتي كده هتقضي عليه
- ألف حمد لله على السلامة
- الله يسلمك يا بابا
- قلقتنا عليك يا حبيبي
- أنا كويس يا ماما الحمد لله
- طيب أنت حاسس بتعب ولا أي حاجة نندهلك الدكتور من بره
- لا أنا تعبان بس شوية عند جنبي
- ده أكيد مكان العملية
- هو أيه الى حصل
تدخّلت مِنّه لتروى له ما حدث وتملأ الفراغات التي في رأسه عن تلك الليلة
- خبطتك عربيه وعصام وشاب تاني كده محترم أوي اسمه ياسين أنقذوك وجابوك على المستشفى الدكتور عملك عمليه وقال أنك ان شاء الله هتبقى كويس
- وأنا بقالي قد أيه في المستشفى ؟
- بقالك يومين نايم
- ومين ياسين ده ؟
- منعرفش بس هو قعد الوقت كله معانا ولما دخلنا نشوفك بعد ما طلعت من العملية لما روحنا علشان نشكره كان هو مشى
- غريبة دي، عموماً أنا حاليا مش فاكر أي حاجه من الكلام ده أخر حاجه فاكرها أنى كنت مع عصام وسابني وروّح
دخلت الممرضة لتقطع ذلك الحديث
- طيب أستأذنكوا كفاية كده يا جماعه علشان تسيبوه يرتاح
أجاب والده
- حاضر دقيقة واحدة وخارجين

obeikan.com

- طيب بس ياريت متتأخروش
خرجت الممرضة
- طيب هنسيبك يا حبيبي وهنيجي بكره محتاج أي حاجه نجيبهالك معانا
- لا شكرا يا بابا
- طيب خد بالك من نفسك، أنا عايزك ترتاح ومتفكرش في أي حاجة خالص ولما تخرج بالسلامة أن شاء الله هنحكيلك كل حاجه
- طيب حاضر يا بابا
خرج والده وودعته والدته بقبله على جبينه ومالت مِنّه على أذنه
- على فكره مش أحنا بس الى كنا قلقانين عليك
تطلّع إليها نوح في أستغراب
- قصدك أيه
ضحكت مِنّه بخبث
- ولا حاجه في بنت أموره أسمها يارا جت سألت عليك
لم يجيب نوح أكتفى بأبتسامة
- يلا هسيبك أنا هى أكيد هتيجي النهارده علشان جت أمبارح بس أنت كنت نايم وصحيح أنت كنت سايب نور صالون عربيتك مفتوح ليه
- إيه امتى ده
- كان مفتوح من ليلة الحادثة عموما بابا قفلهولك، يلا سلام
- سلام
خرجت مِنّه تاركه ورائها عقل نوح المشوش أكثر تشويشا يتسأل عن سبب وجود يارا بالمشفى وسبب تركه لنور صالون سيارته مفتوح ومن هو ياسين الذي أنقذ حياته ومن الذي صدمه بالمقام الأول وأين ذهب، لحظات في التفكير والتشوش عاشها ياسين بين سطور تلك الأسئلة حتى أنتبه على صوت طرقات خفيفة على باب غرفته

****

- أدخل
دخلت يارا حامله بين يديها باقة من الورد الأحمر تتوسطه وردة بيضاء وحيدة ومغلف بورق أسود يعكس جمال الورد ويظهر رقة زوقها
- ملقيتلكش فالورد اللون الأسود الى بتحبه فقلتله يغلفهولك بورق أسود
ظهر شبح ابتسامة خفيفة على وجه نوح
- مش فارق لونه، هو حلو علشان أنتي اللي جايباه، تعالى اقعدي
- حمد لله على سلامتك
- الله يسلمك، ازاي الممرضة سابتك تدخلي كده ؟
- قولتلها أني خطيبتك
أضافت سريعا لتغطى على خجلها
- المهم أنت عامل أيه دلوقتى ؟
- أنا تمام الحمد لله.. أنا مبسوط جداً أنك جيتي بس أنتي عرفتي منين اني هنا ؟
- كلمتك يوم الحادثة وأختك ردت عليا وقالتلي وجيتلك يومها بس أنت مكنتش حاسس بيا ولا حاسس بحاجة
قاطعها نوح بطريقته الساخرة
- قلبي كان حاسس بيكي
أجابته مبتسمة
- يا سلام صدقتك أنا كده
- ولازم كمان تصدقيني في الكلام اللي هقولهولك ده
- كلام أيه ؟
- أنا بحبك
أحمرت وجنتاها خجلا وتراقصت الفرحة في عينيها ولكنها أجابته بأبتسامة وكل تلقائية كأن الأمر لا يعنيها
- بس كده ؟

obeikan.com

-لا طبعا في كلام لازم أقولهولك
- طيب أجّله لما تقوم بالسلامة علشان أنا كمان عايزه أتكلم معاك
- لا مش عايز تأجيل أنا أصلا متأخر على الكلام ده كتير
- طيب قول أنا سامعاك
أحس نوح بالتوتر كطالب بدخل أمتحانه بدون مذاكرة
- أنا مش عارف ابدأ أزاي أو منين بس أنا حابب ابدأ بأني أعتذر لك.. أنا عارف اني جرحتك كتير وخذلتك أكتر وأنتي متستاهليش مني كل ده، أنا غبي وضيعتك من أيدي بس أنا بجد الحادثة دي فوقتني وخلتني أعرف قيمة كل حاجه في حياتي وأعيد حساباتي في حياتي كلها وصدقيني لما أقولك أنك أغلى حاجة في حياتي.. أنا فعلا هتغير علشان نفسي وعلشانك وعلشان متندميش في يوم أنك عرفتيني ومش كلام أفلام بس أنا فعلا بحبك أكتر من أي حد ممكن يحبك، أنا من غيرك ولا حاجه، بس أنا برضه مرضاش أنك تشوفيني من ورا خطيبك وأنا عارف دي أن أكتر حاجه بتضايقك أنك تتصرفي غلط علشان كده أنتي لازم تختاري، وأوعدك لو أختارتيني أني مش هخذلك تاني
كانت يارا جالسة تستمع لكلماته في صمت كراهب في معبد يستمع الى معلمه وقلبها يرقص فرحا بما يقول
- أنا هضطر أقولك دلوقتي أنك لازم تلتزم بوعودك معايا
نظر إليها نوح غير مصدقا لما يسمع فهو لم يتوقع أن يسمع رد الآن
- يعنى أيه ؟؟!!!
- يعنى أنا سبت ياسين وهبلغهم في البيت بقراري النهارده
- أنتي بتتكلمي بجد، ولا بتاخديني على قد عقلي علشان تعبان وكده
أجابت ضاحكة
- أيوه بتكلم بجد والله
- طيب امتى حصل الكلام ده وأزاي

قبل أن تستطيع أجابته دخلت الممرضة مقاطعة أياهم
- آنسة الدكتور جاي ولازم تسيبيه يرتاح
قاطع نوح الممرضة قبل أن تجيب يارا
- أنتي أسمك أيه
نظرت إليه الممرضة في أستغراب
- نهى
- طيب بصي يا نهى البنت الي قدامك دي أنا لسه قايلها أني بحبها وهتجوزها فسيبينا خمس دقايق وأوعدك هعزمك على فرحنا
ضحكت نهى
- من الواضح أن كلامك ده هو اللي عملك مشاكل.. وكمان هي قالتلي أصلا أنها خطيبتك
- معلش بقى عديها المره دي يا نهى
- ماشى بس خمس دقايق بس
خرجت نهى وعاد نوح موجها حديثه ليارا
- ها قوليلي بقى أمتى وأزاي حصل
- أنا كلمتك علشان أقولك أني قررت أسيب ياسين علشان بحبك بس أختك ردت عليا وقالتلي أنك عملت حادثة.. طبعا مش هقدر أوصفلك أنا حالتي كانت عامله أزاي وقتها..
جيت على المستشفى وقبل ما أدخولك لقيت ياسين هنا في المستشفى
قاطعها نوح متذكرا كلام مِنّه
- متقوليش أن هو اللي أنقذني
- هو فعلا، وقالي أنه عارف كل حاجه عننا وطلب مني أختار وأختارتك
- أنا مش مصدق الصدف دي طيب مقالكيش هو أيه اللي جابه عند بيتي
- قالي أنه كان بيراقبنا وشافني وأنا بوصّلك وبعد كده غالبا فضل راكن عند بيتك ولما أنت نزلت تشوفلي مفاتيحي خبطتك العربية وهو شافك وأنقذك

obeikan.com

- لا أنا خبطتني العربية بعدها لما نزلت أقابل عصام
- بجد، طب الحمد الله
رد نوح مستنكراً
- الحمد لله أني خبطتني عربية ؟
أجابت ضاحكة
- لا طبعا، الحمد الله أني مطلعتش السبب، عموما يا حبيبي حمد الله على سلامتك، شد حيلك بقى وقوم بالسلامة
- الله يسلمك يا حبيبتى
- أنا هأقوم أمشي قبل ما الممرضة تيجي تاني
رمقته يارا بنظرة قوية قبل أن تذهب
- وبطّل هزار مع الممرضات
ضحك نوح مطولا كما لم يضحك من قبل
- أيه بتضحك على أيه ؟
- كنت عارف أنك مش هتعديها عموماً أنا تعبان ومش قادر أهزر أصلا
- أنا قلتلك وخلاص، يلا سلام
- طب مفيش بوسه علشان أنا تعبان
- لا مفيش طبعا، يلا باي
- باي
خرجت يارا وتركته وحده يحاول ربط الأحداث بعضها ببعض، أولا لابد أن يكون ياسين هو من هاتفه ليلة الحادث وتلك السيارة صاحبة النور المفتوح لابد أنها سيارته، وهو بنفسه الذي فتح نور صالونها ليبحث عن مفاتيح يارا ونسى أن يغلقهم وبعد مكالمة ياسين وقف أمام سيارته مرة أخرى ولم يتعرف عليها بسبب السُكر وتشوش عقله
حاول أن ينام قليلا لكنه لم يستطع ووجوده وحده بالمشفى يقوده للجنون عقله لا يعطى له أي فرصة للنجاة من براثن تلك الأفكار اللعينة التي تحيط

obeikan.com

به تجبره ليعيد التفكير في سنواته الماضية التي يحاول جاهداً الهروب منها..
كيف تحول طريقه للفشل رغم أنه كان من المتفوقين دراسياً أثناء الثانوية لكن كل ذلك تغير تماماً بعد أن سقط لأول مرة في الكلية في السنة الثانية له..
كان ذلك السقوط ليس في الكلية فقط ولكنه كان سقوطاً في حياته كلها..
أهمل حياته ونفسه وأهمل يارا حبيبته، كان يعزُف عن أي شيء دون سبب واضح تملكه شعور باليأس والملل وسيطر الاكتئاب والفشل على حياته بشكل عام..
لم يستطع التخلص من هذا الشعور فمشكلته الأساسية كانت تتلخص في سؤال واحد..
هو أنا عايز أوصل لأيه من حياتي ؟
أيه الهدف اللي المفروض أحققه ؟
لم يجد إجابة لتلك الأسئلة التي كانت تقتل بداخله أي دافع للوصول لأي شيء، عوضاً عن ذلك لم يجد أمامه سوى مخدرات عصام المخدرات والخمور التي كان يشربها، كان يشربها فقط فالمواسم أو مع عصام (تفاريحي) حتى تحولت لعادة يومية بالنسبة له، كان يعتبرها كمخرج و مهرب من همومه..
لم يعتد نوح الندم على أي شيء تلك الصفة ورثها عن أمه، علمته أن كل شيء سيفيده ويعلمه شيئاً ما يمكن أن يفيده لاحقاً في حياته وأن الندم لا يجدي نفعاً ولا يجنى الإنسان من ورائه شيئاً، لكنه يشعر بالندم الآن، لأول مرة في حياته يختبر هذا الشعور.. فهو لم يكن يعبث فقط بحياته في تلك الفترة السابقة ولكنه كان يعبث بحياة كل من حوله أيضاً وخاصة يارا التي ربطت حياتها بحياته وكل ذنبها أنها أحبته..
لا يعلم لماذا تركت خطيبها ياسين لأجله وهو شخص فاشل لا يستحقها، كيف تترك شخص مستقبله مضمون ويحبها وتذهب لشخص لا يعرف ماذا يريد ؟
يارا وأمه هما الشخصان الوحيدان الذي يشعر دائما أنه ليس فاشل بنظرهم، ليس عنده شك في حب أخته وأبيه لكنهم أعتادا أن يتعاملا معه كشخص

فاشل لا يستطيع أنجاز أي شيء، أسلوبهم الواقعي وقسوة كلامهم تلك هى طريقتهم في التعامل معه لذلك كان نوح شديد الارتباط بوالدته عن والده وأخته، الآن بعد تلك الحادثة وبعد أن رأى كم تحبه يارا وأيقن بداخله أنه يحبها وكان يمكن أن يفقدها..

ذلك الحادث أعطاه ما كان ينتظره، أعطاه الإجابة التي يبحث عنها أعطاه الهدف الذي سوف يعيش من أجله..

أعطاه يارا مرة أخرى..

بعد الآن أقسم ألا يقترب من المخدرات أو الخمور مجدداً وأن تستقيم أموره مرة أخرى لابد أن يثبت ليارا أنه سيكون شخص مختلف لابد أن يلتزم بوعده لها..

لا يعلم كيف ترتبت الأحداث في تلك الليلة بذلك الشكل القدري المفاجئ فهو لم يكن يؤمن بالمصادفات حتى هذا الحادث تلك المصادفة التي جعلته يستفيق ويعيد ترتيب حياته مرة أخرى في يومان

****

opelkan.com

obeikan.com

- ١٠ -

لم تكن تلك الأيام مصدر الهام واتخاذ قرارات لنوح فقط بل لهشام أيضاً، يعتبر تلك الأيام أصعب أيام مرت عليه في حياته عانى فيها الكثير من الضغط العصبي والنفسي ذكرته بفترة طلاق والديه، فهو منذ أن رأى زجاج سيارة أبيه المكسور حتى بات متأكدا أن أبيه هو من صدم نوح بسيارته، هو ذلك الجاني الذي يبحث عنه الجميع..

تلك المعلومة حطّمت ما تبقى من صورة أبيه في عينيه والتي لم يكن متبقي منها الكثير بأي حال من الأحوال..

فعلاقة هشام بأبيه لسنوات منذ انفصاله عن والدته لم تتعد علاقة الإنسان بماكينة صرف النقود (ATM)، فلا تجد أحد يحتضن تلك الماكينة أو يحاول أن يتسامر معها أو يطلب منها الخروج معه، هكذا كانت العلاقة بينهم..

لم يكن هشام صغير السن عندما حدث ذلك الانفصال كان في أول سنة له في الجامعة ويتذكر تفاصيل تلك الأحداث كاملة وبشكل مفصل ودقيق لا يغيب عنه شيء..

يذكر اللامبالاة التي كان يتعامل بها معهم وتهربه من المسؤولية بشكل كامل ماعدا الجزء المادي فقط الذي كان يبذخ فيه محاولاً التعويض لهم عن ما يفعل، يذكر كلام والدته بالتفصيل عندما سألها عن والده وسبب انفصالهم

obeikan.com

لم تجبه سوى بجملة واحدة وهى مسترسلة في وصلة بكاء عنيف
« بابا زهق منا يا هشام ورايح يتجوز واحدة تانية «
لسنوات كان هشام لا يستطيع أن يغفر لوالده تخاذله على عكس محمد أخيه الصغير الذي سمحت له حداثة سنه وعدم فهمه وإدراكه للأمور بأن يغفر وينسى سريعا، وعلى الرغم من محاولات والده المستمرة لإرضائه واستمالته، فوالده هو من ساعده ليلتحق بتلك الوظيفة في البنك ولم يقطع عنه الأموال التي يرسلها له باستمرار وكان يأتي كل شهر محاولا رؤيته هو وأخيه إلا إن هشام كان يرفض كل مرة أن يراه منتظرا أن ييأس والده ويكف عن طلب رؤيته لكنه لم ييأس قط..
وأستمر ذلك الحال بينهم حتى جائت والدة هشام في يوم تطلب منه أن يأتي معها ليرى بنت أخت صديقة لها، لم يرفض هشام فهو لم يكن من المصدقين في الحب أو المشجعين له بعد تجربة أبيه وأمه، لم يمر يومان حتى كان جالسا مع والدته في نادي الصيد بانتظار أن يرى الفتاة المنتظرة..
جائت مِنّه هى ووالدتها جلسا معاً تلك الليلة لأكثر من ساعتين كان الحديث فيهما جميل يشوبه الكثير من الرسميات والمجاملات والوقت يمضى سريعا لم يشعر به كلاهما خاصة في الساعة الأخيرة بعد أن تركهم الأهل ليتحدثوا بمفردهم ولمنحهم مساحة من الراحة والحرية، يتذكر حديثهما كأنما حدث البارحة
- أهلا
- أهلا بيك
أبتسم وقال مشيراً إلى والدته ووالدتها
- هما طوّلوا أوى مش عارف كده ليه
أجابت مِنّه ضاحكة
- أه شوية
- طيب عموما سيبينا منهم أحنا هنبدأ من جديد، أتفقنا

- أتفقنا
- طيب يلا أبتدي
- لا طب ما تبتدي أنت الأول
- لا مينفعش «Ladies First» وكمان مش معقول هنفضل نتعازم كده لحد ما ييجوا
- طيب ماشى، أقتنعت، بص يا سيدي أنا مِنّه عندي أربعة وعشرين سنة خريجة (AUC) قسم بيزنس وبشتغل في بنك بس كده وبحب أخرج وبحب السينما ونفسي أسافر باريس وعندي أخ واحد أسمه نوح وصاحبه واحدة قريبة مني أسمها مها وغالبا بنعمل كل حاجه سوا ومتخطبتش قبل كده
أعجبته جرأتها المشوبة بعض الخجل وانطلاقها فالحديث
- قصة حياتك المختصرة عجباني طيب محبيتيش قبل كده
- مرة واحدة وأنا في الجامعة
- طيب وأيه الى حصل مكملتوش ليه
أجابت مِنّه متحرجة
- يعنى كان في اختلافات في الشخصية كبيره يعنى تقدر تقول متوفقناش ومكنش لينا نصيب مع بعض
- أها طيب أنا كمان هصارحك بكل حاجة، أنا هشام شغال في بنك بردو ودلوقتي ماسك نائب مدير فرع وأن شاء الله قريب أبقى مدير فرع، خطبت مرة واحدة بس محصلش نصيب كان في فرق في التفكير برضه والموضوع كان تعارف عن طريق بعض الناس مكنش عن حب يعنى، محبتش قبل كده خالص ووالدي والدتي منفصلين وعندي أخ وحيد أصغر منى بكتير أسمه محمد، ده بأختصار كده أنا
أضاف ضاحكاً
- أه نسيت أقولك على أهم حاجة
- أيه هيه ؟

obeikan.com

- مبحبش البصل خالص
أجابت مِنّه بأبتسامة
- تشرفنا يا أستاذ هشام
- الشرف...
وقبل أن يستطيع استكمال جملته قاطعته والدته بأبتسامة عريضة
- طب أيه أحنا كده مش هنروّح
أجابها هشام بضحك
- ياريت
تلك الليلة كان هشام يشعر بالراحة النفسية والسعادة وقبل أي لقاءات أخرى كان هشام قد أبلغ والدته موافقته ووافقت أيضا منه وتم الاتفاق على كل شيء على الرغم من اعتراض والدها على انفصال والديه وهو ما عرفه منها لاحقا..

****

كان عم على مستلقيا على كرسي صغير بجانب الكشك الذي يملكه ورغم ضآلة حجم الكشك وبضائعه لكن كان عم على يجلس جانبه بفخر كأنها مملكته التي يحكمها ربما لأنها الشيء الوحيد الذي أمتلكه فعلياً في حياته، ألقى بنظره بعيداً رأى عصام متجهاً الى بنايته فوضع لأي الشيشة الذي كان يعتصره بين يديه جانبا مخرجا بقايا الدخان من رئتيه المسودتان بمرور الزمن وبفعل استنشاقهم المتواصل لدخان الحجر السلوم
- يا عصام
- أيوه يا عم علي
- هو نوح أيه أخباره دلوقتى ؟
- تمام يا عم على بخير الحمد لله
- في شاب صغير وأبيضاني كده حجه سأل على نوح وقعد يستفسر عن

الحادثة وباين عليه انه ميعرفوش
أضاف عم على بحكمة رجل مخابرات قديم
- بس أنا مقولتوش حاجة اه.. قلت لما أقولكم عليه الأول يمكن تعرفوه
- طيب هو مقالكش أسمه أيه يا عم على
- لا مرديش يقول قالي أنا هبقى أجيله تاني
- طيب شكرا يا عم علي أنا هبقى أبلغ نوح يمكن يعرفه ولو جال تاني قولي
- حاضر يا عصام عينيا بس أمانة عليك توصل سلامي لنوح
- يوصل ان شاء الله يا عم على سلام عليكم
- وعليكم السلام
لم يكن عصام يملك أدنى فكرة عن هذا الشخص لكن عقله بدأ يربط ذلك الشخص الغامض بحادثة نوح..
من هو هذا الشخص ؟
ولماذا يسأل عن نوح ؟
لابد أنه هو من صدم نوح أو كيف له أن يعرف بالحادث ؟
لم يكن هناك أي شخص في ذلك الوقت في تلك الليلة سوي نوح ويس المنقذ السري (كما أراد أن يلقّبه عصام)، لم يشأ أن يخبر أي شخص بما حدث أو بشكوكه وفضّل ترك الموضوع لعل الأيام كفيله بحل ذلك اللغز الغامض.

****

تلك الفترة التي سبقت خطوبته تماما كانت علاقة هشام بوالده قد بدأت تتوطد نوعاً ما ولذلك طلبت منه والدته أن يتصل بوالده ليطلب منه أن يذهب معه لخطبة منه وعلى الرغم من اعتراضه الشديد فهو لم يكن يريد أن يقترب لهذا الحد منه إلا أنه لم يكن يرفض طلب لوالدته..
يتذكر الآن تلك المكالمة التليفونية التي يتمنى لو أعترض وقتها ورفض طلب

obeikan.com

والدته ولم يجريها
- الو
- ايوه يا بابا أنا هشام
أحس هشام يثقل كلمة «بابا» على لسانه ولاحظ أنه لم يقولها له منذ طلاق أمه سوى مرة أو مرتين في حين رد رشاد بفرحة حقيقية
- هشام أزيك يا حبيبي أخبارك أيه ؟
- تمام الحمد الله بخير
- وأخبار محمد وماما أيه ؟
- تمام الحمد لله كويسين
ران صمت تام على التليفون لمدة دقيقة أو أقل عندما قرر رشاد أن يقطع ذلك الصمت مجدداً
- طيب خير يا هشام كنت عايزني في حاجة معينة ؟
أرتبك هشام قليلاً قبل أن يجيب
- اه، بابا أنا هخطب فقلت أبلغك لو حابب تبجي معايا
على الرغم من قساوة الأسلوب لكن رشاد كان يعلم أن هذه فرصة لابد أن يستغلها ليصلح علاقته بأبنه ويصبح جزء من حياته مرة أخرى
- طبعا يا ابني هاجي ده شرف ليا، ألف ألف مبروك
- الله يبارك فيك، طيب هبقى أكلمك أقولك على المكان والمعاد
- طيب يا ابني مستني تليفونك وألف مبروك تاني
- الله يبارك فيك، مع السلامه
- مع السلامه
عاد هشام بأفكاره مرة أخرى إلى وقته الحالي يفكر في ما فعله والده وكيف أن ما حدث يمكن أن يخرّب له حياته بأكملها ويجعله يخسر حبيبته وكل ما عمل من أجله الفترة الماضية، لا يلوم إلا نفسه لأنه سمح لنفسه بالثقة بأبيه مرة أخرى وهاهو يخذله تماما كما توقع أن يفعل..

obeikan.com

عاصفة من الأفكار تتلاعب بعقله كورقة شجر في مهب الريح لا يعلم ماذا عليه أن يفعل هل يعترف لِنّه أو فقط عليه أن يصمت ويتجاهل الموضوع وينساه، هل يواجه أبيه أم يترك الأمور كما هى حتى لا يحطم البقية الباقية من علاقته به..

يومان يعانى فيهما هشام من صداع مزمن لا ينتهي، لا يستطيع أن يصل لقرار فكل الاختيارات تنتهي بخسارة كبيرة، لن يعطى لنفسه فرصة لمزيد من التفكير أكثر من ذلك..

لقد أتخذ قراره ووضعه موضع تنفيذ على الفور، فتح هاتفه وطلب رقم والده

****

أمسك رشاد بتليفونه المحمول ليجد أن المتصل هو هشام، هشام لم يتصل به ولم يكن يجيب أيضا عن اتصالاته، على الرغم من اندهاشه من تلك المبادرة أجاب سريعاً

- الو، أزيك يا بابا ؟

- أهلا أزيك يا هشام فينك كده كنت مختفي ومبتردش على تليوفوناتي، يعنى لولا كلمت مامتك طمنيتني عليك برسالة مكنتش عرفت عنك حاجة

- معلش أصلى كنت مشغول شوية

- مشغول حتى متردش عليا وحتى مجيتش تاخد الفلوس يوم ما قولتيلي جاي

- معلش كان في كام موضوع كده لازم أخلصهم الأول وكمان ملحوقة يا بابا ان شاء الله هجيلك النهارده أقعد معاك شوية لو فاضي

- يا سلام بس كده طبعا فاضي تشرف وتنور

- شكرا، أن شاء الله هكون عندك الساعة سبعة

obeikan.com

- طيب يا حبيبي مستنيك
- طيب، مع السلامة
- مع السلامة
أغلق رشاد الهاتف مطمئناً أن كل شيء سيكون بخير وهو لم يكن يعلم ما ينتظره بعد ساعات..

****

توجه هشام لشقة أبيه الذي لاقاه بترحاب وتمثيل متقن للهدوء والبراءة
- أزيك يا هشام عامل إيه ؟
- تمام الحمد لله
- خد الفلوس اهيه لقيتهالك في العربية خد بالك بقى علشان متضيعش منك تأنى
- شكرا يا بابا بمناسبة العربية أنت عارف أن الولد الى أنقذ نوح شاف العربية الى عملت الحادثة
أمتقع وجه رشاد كان كمن تلقى صفعة على وجهه وحاول السيطرة على أعصابه التي كانت على وشك أن تنفجر
- بجد وإيه قالكوا شكلها إيه أو شكله أيه اللي كان سايق؟
رد هشام بنبرة لا تخلوا من السخرية
- اه قالنا، ومش هتصدق الصدف العربية لانسر فضي زى عربيتك واللي خبطه هرب بس أنت لو منه عمرك ما هتعمل كده صح ؟
للمرة الثانية لم يرد رشاد مباشرة لكنه تيقن أن هشام يعلم الحقيقة يعلم أنه الفاعل حتى لو لم يعلنها له صراحة..
تجاهل رشاد التعليق على سؤاله
- صدفة غريبة فعلا المهم انت قوم روّح واستريح علشان شاكلك منمتش من

obeikan.com

امبارح وأكيد جاي من الشغل تعبان
نظر له هشام نظرة مطولة تحمل مزيج من الاستحقار والاستهانة، تلك النظرة الصامتة، الساخرة، المهينة تساوي بألف معنى..
أصابت رشاد تلك النظرة في مقتل أحس لحظتها أنه كان يفضل الوقوف لإنقاذ الشاب ويتلقى عقابه بالسجن على أن ينظر له أبنه هذه النظرة، تلك النظرة حقا قتلته لكن الأوان كان قد فات على أتخاذ مثل هذه القرارات كلاهما يعلم الحقيقة الآن لكن لم يتفوه بها أيهما حتى الآن وهو ما جعل رشاد متيقناً أن المواجهة بينه وبين هشام ستحدث لا محالة، هشام لا يستطيع الصمت طويلا..
توجه هشام ناحية الباب ليخرج وبالفعل كما توقع والده قبل أن تخطو قدمه خطوة واحدة خارج المنزل تراجع وأغلق باب المنزل والتف الى أبيه ليحاكمه..
- أنت الى خبطته صح
- خبطت مين أنت أتجننت وأنا لو خبطته هسيبه فالشارع
- أنت بترجع بيتك من المنيل وفى نفس الوقت الى حصلت فيه الحادثة تقريباً وعربيتك وصفها مطابق للي الولد اللي أنقذه قاله وأزاز عربيتك مكسور برده مش شايف أنها صدفة غريبة أن يكون مش أنت، بطّل كدب بقى أنت هتفضل كده على طول مبتتحملش مسؤولية وجبان أزاي سمحلك ضميرك تسيب واحد أنت خبطته يموت ؟
أزاي مفكرتش أنك ممكن تتعرف وتتسجن مفكرتش فيا ولا في موقفي لو خطيبتي عرفت حاجة زى دي كنت تقولها إيه مفكرتش أنك بتدمرلي حياتي زى ما دمرت حياتنا كلنا زمان علشان كنت أنانى وفضلت راحتك علينا وظلمتنا وظلمت أمى أنا بسببك دلوقتى حياتى باظت لأنى هضطر أقول لخطيبتى عالحقيقة علشان لما تعرفها منى أحسن متعرف من أي حد تاني أنا مش عارف أقولك أيه أنا مكسوف منك وخجلان أنك أبويا

أنتهى هشام من كلامه ولم يدع فرصة لأبيه أن ينطق بكلمة أو يدافع عن نفسه بأي شيء وأنطلق كالسهم خارجا من المنزل تاركا أباه يتصبب عرقاً كما لو كان يركض في سباق..

طوال ذلك الوقت لم يستطع رشاد أن يتكلم أو يدافع عن نفسه بكلمة واحدة فهشام أمامه كان كالمدفع الذي لا يتوقف وكانت كلماته كالقذائف التي تنطلق بكل قوة لتفتك وتمزق بكل ما حولها بلا رحمة وعلى الرغم من قسوة الكلام والأسلوب كان يعلم أنه على حق في كل كلمة يقولها لم يكن يعرف ماذا سيفعل الآن بعد أن أخبره هشام أنه سيقول لخطيبته ولا يعلم هل سيبلغون الشرطة أم لا ؟ وكيف له أن يخرج من ذلك المأزق الآن ؟

يشعر أنه محاصر وخسر كل شيء أبنه وشعوره الزائف بالأمان وكل شيء، لابد أن يفكر في حل سريع حتى يستطيع الخروج بأقل الخسائر من هذه المأساة

****

obeikan.com

- ١١ -

لم يطل تفكير رشاد كثيرا فلم يكن أمامه بأي حال من الأحوال سوى حل وحيد وهو أن يعترف بجريمته لأهل نوح فهو لن يترك أبنه ليفعل ذلك عوضاً عنه كما أنه لا يمكنه تجاهل الموضوع ولعل ما سيفعل يصلح جزء مما أفسد..

لم يترك لنفسه فرصة للخوف والتراجع، أمسك بهاتفه طالباً رقم هشام ليبلغه بقراره

- الو

- الو أيوه يا هشام أنا عايزك تجيلي البيت عايز أتكلم معاك

- مش هينفع عندي شغل ياريت تقولي الى عايز تقوله في التليفون ده لو كان باقي أصلا حاجة نتكلم فيها

- براحة عليا شوية يا هشام أنا متصل أقولك أن كان عندك حق فكل حاجة قلتها وأنا مستعد أصلح غلطي

- وناوي تصلحه أزاي ؟

- أنت قلت لخطيبتك وأهلها على أي حاجة ولا لسه

- لسه مكلمتها في الموضوع ده

- طيب أنا ناوي أروح معاك لبيت خطيبتك وأقولهم على كل حاجة بنفسي وأتحمل مسؤولية غلطتي كاملة

obeikan.com

- بس أنت عارف أنك ممكن تتأذى في موضوع زي ده ممكن يصروا على اتهامك ويتعملك قضية
- أنا عارف ومقدر لكل العواقب ومُصِرّ على قراري أنا مش جبان زي ما أنت قلت عليا أنا بس كنت خايف من الموقف، واللي هعمله ده هعمله علشان ده الصح وعلشان أثبتلك أن أبوك مش شخص جبان
- إذا كان ده قرارك النهائي يبقى هعدي عليك الساعة سبعة ونروح سوا
- ماشى وأنا مستنيك مع السلامة
- مع السلامة

أغلق هشام مع أبيه وشعر باقتراب القرار الذي لم يكن يدرى سيتخذه أم لا لكن الآن لا مجال للتراجع لابد أن يتصل بمنه ليخبرها بقدومهم..

ضغط على شاشة التليفون ليفتحه مترددا وطلب رقم خطيبته وهو لا يعلم هل ستظل خطيبته في المساء أم لا، جلس خلف السماعة منتظراً في ملل أنتهاء ذلك الجرس السخيف ومتمنياً في نفس الوقت ألا ينتهي وألا تجيب مِنّه لكن لم تتحقق أمنيته

- الو
- أيوه يا حبيبتى أخبارك أيه
- تمام الحمد لله يا حبيبي أنت أخبارك أيه
- أنا تمام الحمد لله أخبار نوح أيه
- أهو الحمد لله بقى أحسن كتير دلوقتى والدكتور بيقول هيخرج على أخر الأسبوع أن شاء الله
- طيب تمام الحمد لله ربنا يقومه بالسلامة
- الله يسلمك أيه في حاجة ولا أيه مش عوايدك تتصل وأنت في الشغل
- لا أبدا قلت أسلم عليكي علشان وحشتيني
- بس كده !!! وموحشتكش غير النهارده
- لا طبعا واحشاني كل يوم بس النهارده أكتر

obeikan.com

- ماشى وأنت كمان واحشني جدا
- كنت عايز أقولك كمان أنا وبابا جاينلكم النهارده أن شاء الله
- تشرفوا، بس اشمعنى يعني جاي تتقدمي من جديد
- لا لما نيجي هتعرفي، هنيجي على تمانية كده كويس باباكي يكون رجع
- أه يكون رجع خلاص، بس قولي بجد في أيه
- خلاص بقى قلت لما نيجي هتعرفي ويلا علشان عندي شغل
- يا سلام دلوقتى شغل ومن دقيقة كنت واحشاك
- ايوه كنني واحش وخلاص دلوقتي الشغل واحشني يلا سلام
- ماشى ماشى سلام

****

في السابعة تماماً كان هشام في منتظراً في سيارته تحت منزل أبيه في أنتظاره أن ينزل ليذهبا معا لمنزل خطيبته ولم تمر وقت طويل حتى ظهر والده..
تحركا مسرعين لوجهتهما لم يتبادلا أي نوع من أنواع الحديث حتى وصلا تحت منزل مِنّه كان كلاهما في درجة من التوتر تمنعهم من تبادل أي حديث و قبل أن يصعدا أراد رشاد أن يقول كل ما في نفسه فربما لا تتاح له تلك الفرصة مرة أخرى ليقول ما يريد
- هشام أنا عايز اقولك أنى أسف على كل حاجة وحشه عملتها
أو أي أذى سببتهولك بدون قصد وأسف على أي حاجة حلوة معملتهاش أو مكنتش موجود فيها، أنا يا ابني غلطت وبحاول أصلح غلطتي نتيجة الى هيحصل فوق ده مش بأيدي ولا بأيدك أنا بس حبيت أنك تعرف الكلام ده قبل منتطلع
- عارف يا بابا.... ان شاء الله خير
صعدا بالمصعد للدور السابع وتوجها للشقة فتحت مِنّه الباب ووجهتهما

obeikan.com

للصالون وظهر بعدها والديها
- شرفتونا يا عمو تشربوا إيه
أبتسم على قدر ما أستطاع رشاد في ذوق
- شكرا يا ابنتي
- لا أزاي طبعا يا عمو لازم تشربوا أي حاجه
- طيب أنا هشرب قهوة مظبوطة
وأضاف هشام
- وأنا كمان
- حالا يا عمو حاضر
بدأ والد مِنّه الكلام
- شرفوتونا أزاي حضرتك يا أستاذ رشاد وأزيك يا هشام عامل أيه
- أحنا تمام الحمد لله بخير أزاي نوح دلوقتى وأخباره أيه
- تمام الحمد لله بدأ يبقى كويس وأن شاء الله هيخرج على أخر الأسبوع وأحنا هنعمل حفله بمناسبة رجوعه بالسلامة وعايزين نشوفكوا أكيد أن شاء الله
- أن شاء الله ربنا يتم شفاه على خير طيب والي خبطه لسه متعرفوش عنه حاجه
- لا للأسف مفيش أي معلومات جديده والبوليس لحد دلوقتى لسه موصلش لحاجه
- أحنا عموما جايين لحضرتك النهارده بخصوص الموضوع ده
- خير أنتوا عرفتوا مين الى خبطه ولا أيه
- اه
في تلك اللحظة دخلت مِنّه حاملة صينية عليها ثلاثة فناجين من القهوة وضعتها أمامهم ونظرت لهشام الصامت الذي لم يتحدث بكلمة منذ أن وطأت قدمه المنزل

obeikan.com

- أتفضلوا القهوة يا عمو
- شكرا تسلم أديكي
- العفو
- أتفضل يا أستاذ رشاد كمل كنت بتقول تعرفوا مين الى خبط أبنى نوح
- أه.... طبعا أنا مش عارف أبدأ كلامي أزاي بس قبل أي حاجة عايز أطلب من حضرتك طلب
- أتفضل
- أرجوك متقاطعنيش وتديني فرصة أخلص كلامي للأخر
- طبعا طبعا أتفضل
- أنا الى خبطت ابن حضرتك نوح مكنتش أعرف طبعا أن اللي خبطته أبنك أنا كنت راجع بالليل ونوح ظهر فجأة كان بيعدي الشارع وأنا بلف بالعربية ومعرفتش أتفاداه وبعد كده أنا أرتبكت وخفت من الكارثة دي ومشيت مكنش قصدي أهرب أنا بس أرتبكت وخفت ولما حبيت أصلح غلطى ورجعت بعدها على طول كان الوقت فات وعرفت بعد كده من هشام بحادثة نوح وأن العربية الى خبطته لانسر فضي عرفت أن أنا الشخص الى خبطه فطلبت من هشام أنى أجي وأعترفلكم وأطلب منكم تسامحوني لأني مش قادر أتعايش مع عذاب الضمير أو الجريمة اللي عملتها وأنا مستعد أتقبل كل النتائج وكل شيء لوحدي سواء قررتوا أنكم تبلغوا البوليس أو أي شيء تأنى يرضيكم فده حقكم، أما بالنسبة لهشام فهو ملوش أي ذنب فغلطة عملها أبوه وحرام حياته تخرب بسببى كفاية الى سببتهوله وسببتهولكوا لحد دلوقتى..

أنا أسف..

أشتمل الصمت الجميع كانت منه ووالدتها يبكون بشدة ووالدها يبدو كمن أصابته صاعقة برق خشّبته مكانه لا يقوى على النطق، كان يحدق في الأرض وحسب..

openkan.com

مرت دقيقتان على ذلك الحال حتى رفع أخيرا منير رأسه موجها حديثه لرشاد - أنا فعلا عاجز عن الكلام ومش عارف أقولك أيه غير حسبي الله ونعم الوكيل يعنى بسببك وبسبب جُبنك كان أبنى ممكن يموت ولولا أنى واثق أن هشام أبنك مش زيك أنا كنت طردتكوا أنتوا الأتنين بره دلوقتى بس أنا علشان خاطر أبنك وابنتي الي بتحبه أنا هسحب البلاغ بكره وهعتبر نفسي معرفتش مين المجرم وياريت مشوفكش تأنى ولا حتى صدفه

أنهى منير كلامه وأتجه لغرفته تاركا الضيوف كأنما أصدر قرار بأنتهاء هذه الزيارة في حين توجه رشاد وأبنه كلاهما للخروج في صمت

****

obeikan.com

- ١٢ -

أوصل هشام والده لمنزله وسط سكوت تام من كلاهما طوال الطريق حتى نطق هشام أخيرا

- بابا أنا آسف بس أنا كمان مش هقدر أشوفك ومعرفش لأمتى، الله أعلم أمتى ممكن ترجع الدنيا بينا لطبيعتها

- دي كانت غلطة هتحاكمنى عليها بقيت عمرى أنا..

رد عليه هشام مقاطعاً

- أرجوك يا بابا متقاطعنيش أنا مش قادر أرجع أتعامل معاك الفترة دي، ده غير أن غلطتك دي كان ممكن تدمرلي حياتي ده لو مكنتش حياتي باظت أصلاً، رغم كده بشكرك أنك جيت معايا النهارده

لم يستطع رشاد الرد نظر الى هشام نظرة مليئة بالحسرة والتوسل وخيبة الأمل، يعلم تماماً أن تلك المقابلة ربما تكون الأخيرة لفترة طويلة على الأقل..

ترجل رشاد من السيارة قائلا له

- براحتك بس لو أحتجت حاجة كلمني وأعرف أنك دايماً أبوك موجود

- حاضر

****

obeikan.com

رن هاتف هشام بنغمة مميزة تلك النغمة وضعها خصيصا لمنه، لم يكن يريد أن يجيب على اتصالاتها اليوم، يريد أن يتحاشاها لكنه يعلم أن ذلك لن يفيد بشيء فهيئ نفسه استعدادا للرد

- ألو

أجابت مِنّه بصوت غاضب وباكي

- أيوه يا هشام، أنت كنت عارف ؟

- من يومين

- وعرفت أزاي؟ هو الى قالك؟

- لا، عرفت من كلام ياسين وروحت واتأكدت بنفسي

- طب وليه مقلتليش

- كنت خايف من الوضع كله وخايف أخسرك

- أنت عمرك ما كنت زي باباك ولا عمرك هتكون زيه

- أنا بحبك يا مِنّه ، ودايما هحاول أكون أحسن علشانك عايزك تبقى متأكدة من ده

- أنا عارفة ده ومتأكدة منه كمان ربنا يخليك ليَّ

- أنت روّحت ولا لسه ؟

- لسه في السكة

- طيب سوق براحة وخد بالك من نفسك ولما تروّح كلمني

- حاضر وأنتي كمان يا حبيبتى خدى بالك من نفسك

- حاضر، يلا باي

- مع السلامة

****

في نفس الوقت الذي كانت تدور فيه تلك المعركة النفسية بمنزل نوح والتي

obeikan.com

كاد أن يروح ضحيتها هشام و مِنّه كانت هناك معركة نفسية أخرى على وشك أن تبدأ على كافيه بالزمالك حيث كان يجلس شاب يبدوا عليه حداثة السن وعدم الخبرة بالحياة..

كان بانتظار صديقاً له الذي حضر متأخرا قليلا وبحث بنظره عنه توجه ياسين لصديقه حسام الذي أختار موقع بعيد عن أعين وأذن المتطفلين يطل على النيل مباشرة ..

بدأ ياسين الكلام..

- ها إيه الأخبار ؟

- كله تمام أنا رحت النهارده وسألت صاحب الكشك وعرفت منه أن الواد لسه مخرجش من المستشفى بس مماتش

- طيب تمام، أوعى يكون حد حس بيك

- عيب يا باشا أنا لسه مخلص كليه صحيح بس تلميذك

- طيب تمام كده أمان

- مش هتقولي بقى يا باشا الواد ده ماله ضايقك في أيه

- كان موضوع قديم وخلص، قوم روّح أنت

- حاضر يا باشا تؤمورنى بحاجه تأنى

- لا شكرا يا حسام

- العفو يا باشا، سلامو عليكم

- وعليكم السلام

توجه حسام للخروج في حين جلس ياسين وأشعل سيجارته في استرخاء مستمتعا بها تماما متذكرا يارا ونوح وليلة الحادث..

عندما رأى نوح واقفا أمام سيارته محدقا بها كأنه أول مرة يراها، كان هو يفكر فيما سيفعل معه ومع يارا، ذلك عندما مرت أمامه سيارة لانسر فضي بمراية جانبية مكسورة حاملة معها الحل السحري له..

لم يكن يعلم هل يريد أن ينتقم من نوح لأنه سرق منه خطيبته أم من يارا

openkan.com

التي تركته لأجل ذلك الفاشل أم من كلاهما، لم يطل تفكيره في خطة الانتقام أكثر من دقيقتان عندما أنطلق بسيارته الجيب بكل قوة ليصدم نوح بها صدمه كان يأمل أن تقتله ويلصق التهمه بالسيارة اللانسر الفضي وفى نفس الوقت يحاول أنقاذه حتى يظهر في ثوب البطل عندما تعرف يارا بما حدث.. خطة شيطانية تفتق عنها ذهنه في أقل من مائة وعشرون ثانية تثأر لكرامته من نوح وتضمن له يارا..

الفعل صدمه وتراجع بسيارته بجوار الرصيف وكان نزول عصام ليس من ضمن خطته لكنه أستغل وجوده ليأكد صدق روايته، وعلى الرغم من عدم نجاح خطته في أن يتخلص من نوح أو ينجح في الاحتفاظ بيارا لكنه كان يشعر بالرضا نوعا ما تجاه محاولته للثأر لكرامته..

نظر ياسين نظرة مطولة تجاه النيل نافخاً دخان سيجارته أمامه ويخالطه شعور قوى أن تلك المحاولة لن تكون الأخيرة.

****

obeikan.com

- ١٣ -

الخاتمة

تحكم الصدفة أكثر أعمالنا ونحن نقود الباقي
ماكيافللي

obeikan.com